

الافتتاحية

دفاع عن المنهج

عندما قلنا في العدد الأول من "البيان" إننا ملتزمون بمنهج أهل السنة ، لم يكن هذا منا رفع شعار أو تمحور حول شكل حزبي ضيق ، نتعصب له وندافع عنه بالحق والباطل، فهذا المنهج في الفهم، والاستدلال أكبر من هذا وهو التيار الوسط الذي استمر خلال العصور بعيداً عن الغلو والتقصير ، وبعيداً عن التأثير بالمناهج التي وفدت على المسلمين مبكراً سواء جاءت من الشرق الفارسي الهندي أو من الغرب اليوناني. وهذا المنهج هو الذي يمثل الفهم الصحيح للكتاب والسنة، والمسلمون أفراداً وجماعات ملزمون باتباع هذا المنهج والبحث عن أصوله وتفصيله، والاقتراب منه ما أمكنهم ذلك، لأنه هو الذي يصحح المسار ويصحح المفاهيم وليس للمسلمين خيار في ذلك.

في هذا العدد سيرى القارئ أننا نبين ونوضح زيف طريقتين في الهجوم على السنة وأهل السنة : طريق أهل الاستغراب الذين نهلوا من ثقافة الغرب وراحوا يتشدقون بالمنهجية والموضوعية كطريق بعضهم الذي راح يعيثُ فساداً بالكتابة عن الإسلام ، وبأسلوبٍ دعويٍّ سمج ، يزعم فيه امتلاك وسائل النقد لكل ما هو موجود تحت يده من النصوص (نصوص القرآن والسنة) وكل تراث الإسلام ، وما إن سمع به أصحاب الاتجاهات اليسارية أو العلمانية أو قُل أي عدو للإسلام حتى طلبوا له وزمروا ، وأطلقوا عليه لقب (مفكر إسلامي) وبدأوا بنشر المقالات عنه وعن كتبه في مجلاتهم وصحفهم ، وسيقال للشباب المسلم (وخاصة في أوروبا) هذا رجل يكتب بموضوعية وهو أستاذ في (السوربون) ، ولذلك كان لا بد من الكتابة عن محمد أركون .

هذا في الغرب وفي المشرق هناك أساتذة جامعات مشهورون ، لهم مؤلفات يتبعهم عليها كثير من الشباب ، ولكن دأبهم الذي وهبوا حياتهم له هو محاربة الاتجاه (السلفي) ، هذا الصنف من المشايخ يظن أنه أعلم من غيره لأنه مدرس في الجامعة ولذلك يجب على الكل أن يستمعوا له ويصيخوا ، فراح يكتب بجرأة عجيبة وبأساليب ملتوية مهاجماً منهج أهل السنة ، وكأن الحقد والحرب واحدة ، سواء جاءت من رجل صفيق كأستاذ السوربون ، أو جاءت من شيخ كالذي كتب عن (السلفية) منتقداً لها بغير حق ، صاباً جام غضبه على (ابن تيمية) ، زاعماً أن هذا الاتجاه المبارك - اتجاه التمسك بالكتاب والسنة اللذين هما المحجة البيضاء - اتجاه خاص بابن تيمية وليس اتجاه خير القرون. إن الأمر وصل إلى الحد الذي لا بد فيه من التصريح بعد التلميح، ولا يجوز السكوت عنه، خاصة عندما تكون الأسماء لها شهرة واسعة بين أوساط المسلمين، وقديماً قيل : "من أَلْف فقد استُهدف". ونحن من جهة أخرى نرثي لحال هؤلاء لأن منهج أهل السنة في الفهم والاستدلال هو الذي سينتصر بإذن الله.

((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [يوسف: ٢١] .

عبد القادر حامد

"إن من طبيعة المنهج ، أياً كان ، أنه يكتشف اكتشافاً ولا يبده الباحثون والعلماء إبداعاً ... "

[ص ٦٠ ، من كتاب البوطي "السلفية" .

يكتشف الباحث منهج البوطي - وهو منهج من المناهج على كل حال - من خلال استقراء ما يكتب، غير أنه مع تقديمه هذه المقدمة الحاسمة لا يترك لنا حرية اكتشاف هذا المنهج بأنفسنا ، ولا ندري ماذا وراء ذلك : هل هو شك في قدرات قرائه ، وعدم اطمئنانه إلى أنهم قادرون على الاكتشاف؟؛ لذلك يعرف لهم المنهج حتى لا يتركهم في حيص بيص؟ أم أن كلمة المنهج عنده كلمة من جوامع الكلم. لها معان كثيرة يصعب حصرها؟! لا ندري! لذلك يعرف لنا المنهج كما يلي :

"ماذا نعني بالمنهج ؟ وما الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ؟ .

إننا نعني بكلمة (المنهج) المعنى الذي يريده كل أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح في نطاق دراساتهم وبحوثهم العلمية، نعني بها الطريقة التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يبتغيه، ولا يضل في السعي إليه بين السبل المتشعبة ، ولا يلتبس عليه بالحق فيركن إليه ظاناً أنه الحق الذي يبحث عنه ويسعى إليه، سواء أكان هذا الحق الذي يبحث عنه خبيراً يريد أن يتبين صحته أو أن يعلم مضمونه ، أم أطروحة علمية يريد أن يعرف دلائل صحتها أو بطلانها" [ص ٦٠ من كتابه]

أما أنا فقد قرأت هذا التعريف عدة مرات متهماً عقلي بعدم القدرة على فهمه، لعل الإعادة تفتح لي ما انغلق، وتكشف ما استتر، ولكنني أخيراً سلمت بأن هذا التعريف أشبه ما يكون بالشعر الحر الذي لا تستسيغه أذواق وعقول الكثير من القراء ؛ إما لفقروا وتخلف في مقدرتهم الثقافية أو لفراغه وخلوه من أي معنى، وكل من الرأيين له جمهوره وقائلون به.

إن من صفات التعريف أن يصاغ بعبارة جامعة مانعة محددة حتى يتمكن القارئ من الفهم ، وخاصة في القضايا العلمية ، لكن البوطي لا يأبه - كما قلنا - بما تعارف الناس عليه ، ويحب أن يأتي بما لم يأت به الأوائل ! كيف لا ؛ وهو أديب فنان يطمح - وهو في قمة تسئمه مهمة البحث العلمي - أن يستخدم العبارات المجنحة التي تلفت إليه الأنظار.

وها نحن نبدأ بتحليل تعريفه للمنهج لعلنا نظفر بما عجزنا عنه أثناء القراءة .

يقول:"إننا نعني بكلمة (المنهج) المعنى الذي يريده كل أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح في نطاق دراساتهم وبحوثهم العلمية" . اقرأ هذه العبارة ورددتها مرة ومرة ومرة ، هل تفهم منها تعريفاً، وهل تزيدك علماً بشيء ؟ طبعاً لا ! فمن هم أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح ؟ من أي ملة هم ؟ . وأي دراسات وأي بحوث؟ ، لعل التوضيح يأتينا بعد كلمة (نعني)! "نعني بها الطريقة (طريقة ماذا؟) التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يبتغيه" . كل باحث يعتقد أن ما يقوله ويصل إليه هو الحق ، فهل هذا هو الحق في المنهج الإسلامي ؟ وكثير من بغاة الباطل يطلقون على مبتغاهم اسم الحق !

وقبل أن نخرج من هذه الدوامة في تعريف المنهج ، يدرك البوطي بكياسته وذوقه الدقيق جداً أننا بحاجة إلى تحديد كلمة الحق ، فيحددها ، وكأنه أحس أن تعريفه يحتاج إلى شروط كي يصبح تعريفاً له شبه بالتعريفات ، فهل تظن أنه يُقر عينك بذكر هذه الشروط ليجعلك تشعر بالراحة وتتنفس الصُّعداء؟!!

لا ، لن تفرح بذلك! فهذه مشكلتك ، عليك حلها بنفسك ! اسمعه يقول :
 " وأما شروطه (المنهج) فبوسعك أن تعرفها من خلال إدراكك لطبيعته ومهمته" . وإذا ما أخفقت في معرفة هذه الشروط فهذا يعني أنك لا تدرك طبيعة المنهج ولا مهمته! وإذن فأنت لست جديراً أن تكون من قرائه ، ولست مقصوداً فيما يكتب ؛ لأنه :

عليه نحت القوافي من معادنها وما عليه إذا لم تفهم

إن القارئ سيصيبه الدوار إذا ما ظن أنه - بترديده ما كتب البوطي عن المنهج - يمكن أن يظفر بشيء ، وسوف يكتشف أخيراً أن الرجل يتلاعب بعقله ليوهمه أن ما كتب حول المنهج له معنى متماسك ، إنك تطالبه بشروط المنهج حتى تتضح معالمه فيقول لك : "بوسعك أن تعرفها من خلال إدراكك لطبيعته ومهمته" ، ثم يمضي بك موهماً أنه ذكر شروطاً ، لكن حين تريد أن تضع بداية ونهاية لهذه الشروط وتحصرها في عبارة واضحة لها دلالة فإنك تطلب المستحيل !
 وتمضي في القراءة لتعثر على عبارة تظن أنها ستفتح لك ما استغلق ، وتكشف ما غمض ، فتكاد تصيح مثل أرخميدس : "وجدتها" ، إنها قوله :

"إذن فمن أهم شروط سلامة المنهج... لكك تتبين أن هذه العبارة وما بعدها ليست بداية الشروط ، بل نهايتها ، واخيبتاه! فترجع أدراجك إلى الفقرة السابقة وقد فركت عينيك ووسعت حدقتيهما وأحدت النظر بهما لتبحث عما كانت العبارة السابقة فذلكة له فتجد شيئاً مثل :

"فقد كان الإنسان بحاجة إلى أن يرصد خطوات هذا المنهج في أغوار فكره ، وأن يتلمس آثارها في شغاف وجدانه (العرب تعرف شغاف القلب ، فما الوجدان ؟ وما شغافه ؟!) وساحة شعوره ، ثم يصوغها في عبارات دقيقة ، ويصحبها في قواعد منضبطة ، ثم يجعل منها مشعلاً هادياً في طريقه إلى المعرفة ، وملاذاً يتقي به الشرود في أودية التيه والضلال .

وهكذا فإن تحول المنهج الفطري من شعور وتفاعل خفي في الفكر والنفس إلى قواعد مدونة مضبوطة ماثلة للعيان ، من شأنه :

أن يجمع شوارد الأفكار عليه ، وأن يبعد عوامل التلبيس والكيد عن التسلل إلى ساحة المعرفة ، ودائرة النظر والمحاكمة العقلية في الذهن، في حين لو بقي شعوراً غامضاً في النفس وفطرة مستكنة في أغوار الفكر؛ لأمكن أن تتسلل إليه الشوائب، وأن تحاط بعوامل الغموض والريب ، وأن يغشي عليها المبطلون بزخرف القول وزيف الأدلة الباطلة" . [ص ٦١]

أرأيت إلى هذه الخطبة العصماء خطبة ولا خطبة زياد البتراء !

سنحاول أن نشير إلى خطوط عريضة في منهج البوطي - الذي هو غير منهج السلف قطعاً ، وكون منهجه غير منهج السلف أمر يسره ويسر السلف والحمد لله - وسنستخدم عبارته هو في طريقة تناولنا لهذا المنهج المبتكر! فنحن ليس لنا حياله إلا: "الرصد، ثم الاكتشاف ، ثم الصياغة والتععيد. أما الإبداع والاختراع فإن المنهج أبعد ما يكون عن أن يأتي ثمرة لذلك" :

١- استهانة بالمراجع :

يتعامل البوطي مع المراجع تعاملماً غريباً وعجيباً، وكما سبق أن قلنا، فإنه يخرق الأعراف والتقاليد ، ويحب دائماً أن يكون نسيجاً وحده ، فتراه يحيلك على كتب ويذكر أرقام أجزاء وصفحات ، فتحب أن تتأكد لا من النقل ذاته والإحالة نفسها أحصلت أم لا- ولكن من سياق العبارة ، فتفاجأ بعدم وجود ما يتحدث عنه البتة ، كما حدث في صفحة ٤٧ من كتابه حيث أحال على كتاب "الاعتصام" للشاطبي،

ج ٢، ص ٢٤٢، وبعد الرجوع إلى هذا الموضوع من كتاب الاعتصام لا تجد أثراً للموضوع الذي يتحدث عنه.

وكذلك فعل في صفحة ٣٧ فأحال على "المدخل" لابن الحاج ، ج ٤ ، ص ١٥٥ ولا أثر لما أحال من أجله في ذلك الموضوع ! بل وجدنا في "المدخل" ١٥٧/٤ ما يلي : "وقد نقل عن السلف - رضي الله عنهم - أنهم كانوا لا ينخلون الدقيق، ونخله من إحدى البدع الثلاث المحدثه أولاً" ؛ لكن البوطي يجعل هذه العبارة هكذا : "ومعلوم أن الروايات تواردت (!!)" عن السلف أنهم كانوا في أول عهدهم لا ينخلون الدقيق وأنهم يرون نخله بدعة". [ص ٣٩] ، وكذلك فعل في أكثر من مكان فمما يتعلق بإحالاته على "فتح الباري" ؛ ففي صفحة ١٣٥ أحال على "الفتح" ، ج ٧ ، ص ٨٢ وج ٣ ، ص ٣١٥ ولم نجد في هذين الموضوعين شيئاً مما ذكر ، بل وجدنا ما له تعلق بثاني الإحالتين في ج ٣ ، ص ٣٤٢ ، وسنرجع إلى هذه الإحالة لنرصد ماذا فعل البوطي بها من الأفاعيل ! .

وأمر آخر يخرق البوطي به الأعراف العلمية ، ويبعج البحث العلمي بعباً ، وهو تداخل عبارته بالعبارة المنقولة أو المحال عليها ، فيصيح بين العبارتين تزواج أو اتحاد ، ولا يمكن التمييز بعد بين عبارة الناقل وعبارة المنقول له ، وتمتزج الأمور بصورة طريفة ، وهناك أمثلة كثيرة في كتابه لهذا الأمر ، وسنكتفي بذكر مثال واحد - مع أنه مثال طويل - ولكن ماذا نفعل؟! فإن البوطي يأبى إلا أن يحمل قراءه على أصعب الخطتين. وهذا المثال إحالة إلى "الرسالة" للشافعي.

يتكلم البوطي كلاماً طويلاً لسنا الآن بصدد تحليله ، ثم يختم كلامه هذا برقم ترجع إليه في الحاشية لتقرأ : انظر باب (العلم) من كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي ٣٥٧ بتحقيق أحمد شاکر ، وتحرير بعد قراءة هذه الحاشية : هل هذا الكلام الذي سبق وكتبه هو كلامه أو كلام الشافعي ؟ أو شرح لكلام الشافعي ؟ إن كان كلامه ؟ فَمَ أحال على الرسالة ؟ .

وإن كان كلام الشافعي ؛ فَمَ لم يحصره بين حاصرتين حتى نعرف بدايته ونهايته؟! .

وإن كان شرحاً لكلام الشافعي فلم لم يذكر ذلك ؟

كلها أسئلة تحتاج إلى جواب.

ومع أننا سنجد صعوبة في تحديد بداية نقلنا لكلامه ذلك ، لكننا سنلجأ إلى الخرص والتخمين في ما يمكن أن يكون بداية - ونحن مكرهون على ذلك يشهد الله ، ومعدورون لذلك إن أخطأنا التحديد . يقول: "فإذا فعل المسلم ذلك؛ فلا بد أن يصل إلى العلم بحقائق هذا الدين الذي جاء به كتاب الله .

وسيجد عندئذ أن هذا العلم ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: علم يشمل عامة الناس، على اختلاف مداركهم ومنازلهم العلمية، ما داموا عقلاء

راشدين. فلا يعذر أحد في جهله ، ولا سبيل إلى اقتحام شيء منه بأي تأويل له أو تنازع في فهمه أو

خطأ في روايته. وهذا العلم يشمل كليات العقائد وبدهيات الفروض والأحكام، كالعلم بفرضية

الصلوات الخمس وأن الله على الناس صيام شهر رمضان ، وحج البيت إذا استطاعوه ، وأن عليهم

زكاة في أموالهم ، وأنه حرم عليهم الربا والزنا والقتل والسرقه والخمر .

فهذا الصنف من العلم موجود كله نصاً في كتاب الله ، ومعروف عند أهل الإسلام عامة ، ينقله

عوامهم عن مضي من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يتنازعون في

حكايته ولا وجوبه.

وسبيل هذا الصنف منه هو ما يسمونه بقطعي الدلالة والثبوت . أي كل نص وصل إلينا من مصدره بطريق التواتر ، وكانت صياغته ودلالته على معناه من الوضوح بحيث لا يحتمل أي تأويل له أو أي خطأ في فهمه.

ومن أحكام هذا النوع من العلم أن الناس كلهم مكلفون به ، ولا يسع بالغا غير مغلوب على عقله جهل أي شيء منه. ومن أحكامه أيضاً أن الاجتهاد غير وارد فيه ؛ إذ الاجتهاد قد لا يرقى بصاحبه في كثير من الأحيان فوق درجة الظن ، وقد يقع فيه الخطأ ، ثم إن الناس متفاوتون في القدرة عليه ، مختلفون في النتائج التي يصلون به إليها. وهذا القسم من العلم مبرراً ، كما قد أوضحنا ، من ذلك كله" [ص ٧٣ من كتابه] .

أما كلام الإمام الشافعي المحال عليه فهو :

"قال الشافعي: فقال لي قائل: ما العلم؟ وما يجب على الناس في العلم؟؛ فقلت له: العلم علمان: عالم عامة لا يسع بالغا غير مغلوب على عقله جهله.

قال: ومثل ماذا؟

قلت: مثل الصلوات الخمس، وأن الله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر ، وما كان في معنى هذا، مما كُلف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه : ما حرم عليهم منه. وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله ، وموجوداً عاماً عند أهل الإسلام ، ينقله عوامهم عن مضي من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله ، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم.

وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ، ولا التأويل ، ولا يجوز فيه التنازع .

قال : فما الوجه الثاني ؟

قلت له : ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، وما يخص به من الأحكام وغيرها ، مما ليس فيه نص كتاب ، ولا في أكثره نص سنة ، وإن كانت في شيء منه سنة ، فإنما هي من أخبار الخاصة ، لا أخبار العامة ، وما كان منه يحتمل التأويل ويُستدرك قياساً .

قال : فيعدو هذا أن يكون واجباً وجوب العلم قبله ؟ أو موضوعاً عن الناس علمه ، حتى يكون من علمه منتقلاً ومن ترك علمه غير آثم بتركه ؟ أو من وجه ثالث ، فتوجدناه خبراً أو قياساً ؟

فقلت له : بل هو من وجه ثالث" . [الرسالة ، ص ٣٥٧] .

ومن هذين النصين المنقولين يظهر لنا أن كلام الشافعي يختلف عما أوهم البوطي أنه كلام الشافعي ، وأن القارئ العادي الذي قد يكون على عجلة من أمره قد يغتر بتلبيسه بتلك الحاشية المدلسة التي تجعله يظن أو يعتقد أن الشافعي قال ذلك الكلام !

فقارن مثلاً بين عبارة الشافعي حيث يقول :

"وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ، ولا التأويل ، ولا يجوز فيه التنازع" وبين ما فهمه البوطي منها بقوله :

"وسبيل هذا الصنف منه هو ما يسمونه (مَن هم ؟!) بقطعي الدلالة والثبوت ، أي كل نص وصل إلينا من مصدره بطريق التواتر (الشافعي لم يذكر التواتر) وكانت صياغته ودلالته على معناه من الوضوح بحيث لا يحتمل أي تأويل له أو أي خطأ في فهمه" .

وقل مثل ذلك في إشارته إلى كتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي عند تعرضه للمرجئة في ص ١١٢ ، حيث عرّف المرجئة تعريفاً لم يشر إليه البغدادي لا عند إشارته إلى المرجئة إجمالاً في أول كتابه

ولا حين فصل القول في هذه الفرقة ومذاهبها فيما بعد. وتفصيل عبث البوطي في هذه القضية وحدها يحتاج إلى مقال خاص.

أما قصته مع ابن تيمية فهي أمر يحتاج إلى وقفة خاصة ليس هذا وقت الحديث عنها. ولكننا نكتفي بضرب مثال على تصرفه وتلاعبه بكلام ابن تيمية من أجل أن يقيم الحجة عليه وعلى من ينصر آراءه ، وأسلوبه هذا يذكر بأسلوب الشيعة في الاحتجاج ، حيث إنهم ينتقون من آراء أهل السنة ما يظنون أنه حجة عليهم مع أنهم لا يؤمنون هم - أي الشيعة - بمصادر أهل السنة ، وهي عندهم لا تصلح للاحتجاج ؛ لأنها تعارض ما اصطالحوا عليه من أنه أدلة لهم.

يقول : "ومن ذلك ما رواه ابن تيمية - رحمه الله - عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، من تأويله (الوجه) في قوله - تعالى - : ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)) [القصص: ٨٨] ، بالدين . وما رواه عن الضحاك من تأويله (الوجه) في الآية ذاتها بذات الله والجنة والنار والعرش. أما هو - أي ابن تيمية ذاته - (بلحمه وشحمه وعظمه ودمه!) فقد رجح أن يؤول (الوجه) بمعنى الجهة ، فيكون المعنى : كل شيء هالك إلا ما أريد به جهة الله - تعالى - .

ثم قال : "وهكذا قال جمهور السلف" [ص ١٣٥] .

أما ابن تيمية فقد أشار إلى هذه القضية ضمن كلام رائع له في الرد على القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، لكن البوطي اقتطع من كلام ابن تيمية ما ظن أنه نصر لحجته ، ثم ياليتنا اكتفى بهذه الإساءة بل أشبع هذا المقتطع مسخاً وتشويهاً ، أما عن حقيقة الدافع له إلى ذلك : أهو الهوى أم قصر الباع أم ضيق الصدر؟ فهذا ما نتركه للقارئ ليكتشفه بنفسه.

يقول ابن تيمية :

"روي عن أبي العالية قال : "إلا ما أريد به وجهه" وعن جعفر الصادق : "إلا دينه" ومعناها واحد" . وهذا مخالف لقول البوطي : "روي ابن تيمية عن جعفر الصادق" ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى معلوم ماذا يعني اصطلاح : روي ، بالبناء للمجهول ، عند أهل الحديث . ثم نقل ابن تيمية ما ورد من الأقوال في الآية على عاداته في الاستقصاء ، وهو من سوقه لهذه الأقوال يتوقف مناقشاً مؤيداً أو معترضاً ، وقد يستنرد قليلاً لجلاء نقطة يرى توضيحها من بحث لغوي ، أو فقهي ، أو تاريخي ، أو غير ذلك ، ثم قد يعود لمتابعة نقله الأقوال ، إما معضداً رأياً رآه ، أو لاستبعاد وهم قد يطرأ ، وشبهة قد تثار. هذا هو أسلوب الرجل ، وهو لذلك يحتاج إلى شيء من الصبر وسعة الصدر حتى يُندَوَّق ، وتنتفح عجائبه ، وتكتشف أوبده ، ولكن أتى لرجل نَزِق ضيق الصدر أن يصبر على ذلك؟! وكيف به إذا جمع إلى ذلك هوى مستحكماً وعقدة نفسية من ابن تيمية؟!؟

ثم بحث ابن تيمية عن اشتقاق كلمة (الوجه) مما يبدو أن البوطي لم يفهمه لضيق صدره ، فقال - أي ابن تيمية - :

"وذلك أن لفظ "الوجه" يشبه أن يكون في الأصل مثل الجهة ، كالوعد والعدة ، والوزن والزنة ، والوصل والصلة ، والوسم والسمة" . لكن فعلة حذفت فأوها وهي أخص من الفعل ، كالأكل والإكلة ، فيكون مصدرًا بمعنى التوجه والقصد ، كما قال الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست مُحْصِيَهُ رَبِّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

ثم إنه يسمى به المفعول ، وهو المقصود المتوجه إليه ، كما في اسم الخلق ، ودرهمٌ ضَرَبُ الأمير ، ونظائره ، ويسمى به الفاعل المتوجه ، كوجه الحيوان ، يقال : أردت هذا الوجه ، أي هذه الجهة

والناحية ، ومنه قوله : ((وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)) [البقرة: ١١٥] ، أي قبله الله ووجهه الله ، هكذا قال جمهور السلف" [مجموع الفتاوى: ٤٢٩/٢] .

ومن قراءة النص الأصلي لابن تيمية لا النص المحرّف - نستنتج أنه لم يؤول كما زعم البوطي بل استدل بما ورد من أقوال السلف في هذه الكلمة ، وبلغة العرب التي يهول بها البوطي كثيراً حتى لتظنه الخليل بن أحمد أو ابن جني ، وهو ليس بذلك .

ولو ذهبنا لتتبع تعامل البوطي مع المراجع - في كتابه هذا فقط - لطلال الكلام ، ولكن حسب القارئ الكريم أن يعرف أن هذه القضية فرع لما أشرنا إليه في مقالنا السابق عنه من خيلاء ضارة ، واستهانة بأقدار الناس أحياءً وأمواتاً ، وسوء تقدير لهم ، وإساءة ظن بهم، قدر إحسانه الظن بنفسه ، هداه الله .

التواء وتهويل :

الشيخ البوطي يحب التهويل، حتى ولو أوقعه هذا التهويل فيما لا تحمد عقباه، فمن حيث الأسلوب عنده القدرة التعبيرية التي تريك المهم هيناً، والهين السخيف عظيماً ومشكلة لا بد لها من هز الأكتاف وقرع الظنابيب، حتى يُتَغَلَّبَ عليها، وهذه القدرة تذكرنا بالبراعة التي عُرف بها الفارابي في الموسيقى - فيما زعموا - أنه في أحد مجالسه مع سيف الدولة لم يعجبه عزف العازفين الذين عزفوا أمامه ، وأظهر أخطاءً كثيرة لكل واحد منهم، فتعجب سيف الدولة من ذلك وسأله إن كان يحسن هذه الفنون، فأجاب بالإيجاب ، ثم أخرج من وسطه خريطة (جراب من جلد) ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم عزف بها، فضحك كل من كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر، وضرب بها، فبكى كل من كان في المجلس! ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر ، فنام كل من كان في المجلس حتى البواب! فتركهم نياماً وخرج ! وإليك هذه الفقرة التهويلية التي يمهد فيها لاكتشاف الصحابة والتابعين للمنهج - والذي سبق أن سميناه منهج البوطي - ليقول :

"الآن، وقد اتضح لك ذلك؛ ينبغي أن نتبين حجم المشكلة الخطيرة التي انبثقت عن ذلك التطور الكبير، صحيح أن تلك العوامل أدت إلى خروج الصحابة من نطاق حياتهم الخاصة المتميزة التي فتحوا أعينهم من داخلها (مرجع الضمير هنا على حياتهم الخاصة أو على أعينهم؟! البوطي أعلم، وعلى كلا التقديرين فالكلام مستقيم! وهذه صفة جوامع الكلم!) على الإسلام ومبادئه ، وساحوا تحت وطأة ظروف لا قبل لهم بالإحاطة بها أو السيطرة عليها، (مساكين الصحابة - رضي الله عنهم - في حياة جديدة (الجار والمجرور متعلق بساحوا) ذات آفاق أوسع غير أن المشكلة التي واجهتهم (انتبه! هذه مشكلة المشاكل) أنهم نظروا، فوجدوها آفاقاً بعيدة لا تستبين لها معالم ولا حدوداً. وليس في يدهم من وراء النصوص (نصوص كل من القرآن والسنة) مقياس يحددون به معالم تلك الحياة، بحيث يقيمون على أساسه ضوابط للسير فيها وحدوداً للوقوف عندها (ألا تكفي نصوص القرآن والسنة مقياساً لتحديد معالم تلك الحياة وأساساً تقام عليه ضوابط وحدود؟ يا شيخ!!) فكان ذلك مبعث اضطراب وقلق، وخلافات حادة، (من قال إن الإسلام جاء رحمة للعالمين؟! ألم يكن نعمة على الصحابة ومن جاء بعدهم؟! وقد عانى الصحابة بسببه هذا العناء المعنى، وهذا الاضطراب والقلق والخلافات الحادة. هذا ما يفيد كلام الدكتور، وما شهدنا إلا بما علمنا!)، بل سبباً في ظهور فرق وفئات شتى، اتخذت من تلك البيداء الواسعة طرائق متخالفة، بل متخاصمة، وكان لابد لهذه المشكلة أن تستمر بينهم إلى حين" . [ص ٤٥] .

هذا مقطع - فقط - من تهويلات الرجل. ولسنا ندري على وجه اليقين ما الذي يدعوه إلى مثل هذه التهويلات، أهو قد استعار هذا الكلام من أحد المستشرقين، أو ممن تأثر بهم، ثم نسي المصدر، أو تناساه؟!، إنه كلام يشبه كلام طه حسين في كتبه التي عالج فيها التاريخ الإسلامي، كالفنتنة الكبرى وغيرها، وإن شئت فقل: إن كلامه عليه مسحة من اعتقاد الرافضة في الصحابة، أما عن تأثر الشيخ بالمستشرقين فقد يكون الدافع له إلى ذلك عقدة النقص وحب الظهور عنده، خاصة وأنه ينددن ويهول بمناظرات وما يسميه منازلات لبعض رموز من يطفون على سطح الفكر حواليه ممن يسره أن يقرن بهم ويتمسح بمسايرتهم، وهذا واضح من إصراره على تعبير "منهج المعرفة" وترديده له كثيراً في ثنايا كتابه، أليست هناك مجلة شهيرة ليست على مبعده منه - يكتب فيها من يتطلع إلى مسامتتهم اسمها مجلة "المعرفة"؟! . إن كان الأمر كذلك فنقول له :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدةً قالها عمرو بن كلثوم !

وأضف إلى المثال السابق من أن كلامه أشبه بكلام المستشرقين، الفقرة الأخيرة من ص ٤٨ من كتابه فسوف تجد هذا الكلام لا يختلف عن مناهج المستشرقين في تحليلهم ونظرتهم إلى الفكر الإسلامي بشيء.

وأما أن كلامه عليه مسحة من اعتقاد الرافضة في الصحابة فاقراً كلامه التالي الخارج من صدر ضيق تفوح منه رائحة الحنق : "فمن التزم بمقتضى هذا الميزان ، فهو متبع كتاب الله متقيد بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سواء أكان يعيش في عصر السلف أو جاء بعدهم ، ومن لم يلتزم بمقتضاه ، فهو متنكب عن كتاب الله تائه عن سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وان كان من الرعيل الأول (يا لطيف) ولم يكن يفارق مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " !! [ص ٧٩] بل يحتج ببعض الرافضة ومؤلفاتهم ، وفي مؤلفات أهل السنة غنية له ولغيره على هذه القضية التي يعالجها [انظر الحاشية في ص ٤٣ من كتابه] .

بل يستنزع (يصبح كالنعجة بجامع النعومة وحب السلامة في كل) عندما يتعرض للشيعنة، فيشير إلى حقيقة معروفة عندهم، بل هي من أصول مذهبهم، بل تكاد تكون أصول مذهبهم كلها قامت من أجل هذه القضية، وهي إنكار إمامة الشيخين (أبي بكر وعمر)، فتراه عندما يشير إليها كأنما يقترب من أفعى سامة متربصة بمن يقترب منها، فيقول هذه العبارة التي تطفح بالوجل والتدسس والنعومة : "وعلى سبيل المثال نقول: (لمجرد المثال فقط، فترجو المعذرة!) إن إنكار إمامة الشيخين، وهو مذهب يراه كثير من الشيعة (وليس جميعهم!) ولاحظ تنكير كلمة "مذهب" أيضاً ليس كفراً، (الحمد لله) وإن كان خروجاً على الإجماع" [ص ١٠٧] (يعني ماذا إذا كان خروجاً على الإجماع؟!) ولكن على ذكر من هذا الاعتذار الناعم حينما ناقش معه نزوله بساحة ابن تيمية وثورته وفورته وانتفاخ أوداجه هناك على شيء لم يخرق ابن تيمية الإجماع فيه قطعاً ، ولكن ناقش دعوى الإجماع على قضية فهم منها أعداؤه - وأخيرهم البوطي - أنه يقول بهذا الرأي الذي ناقش دعوى الإجماع عليه ، مع أنه لا يناقض نفسه - رحمه الله - .

ويقول في عبارة أخرى ملتوية :

"ومن ذلك ما يجزم به بعض الناس (!!)، من أن في أئمة أهل البيت من قد وصلوا إلى منزلة لم يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل! وممن يجزم بذلك ويقرره في منشوراته ، الإمام الخميني" . لاحظ الالتواء في عبارة: "بعض الناس"، ولاحظ ما في هذه العبارة: "من أن في أئمة أهل البيت من قد وصلوا..." وكأنه لا يدري أن القول بعصمة الأئمة الاثني عشر من أصولهم! وليس هذا

فحسب، بل إنه سأل بعض علماء الشيعة الإيرانيين عن كيفية اتفاق هذا الكلام مع أصول الإسلام وكتلياته الأساسية فقال : إنها غلطة من المترجم! فتعجب هو من "أن الكتاب طبع منذ ذلك الحين مرات متعددة، وغلطة المترجم لا تزال باقية!" [حاشية، ص ١١٢ من كتابه] . ونحن أيضا نعجب ، لكن لا من غلطة المترجم هذه ولكن من تعجبه وعدم معرفته وتجاهله أن التقيّة من أصول القوم !

لكن مع هذا يبقى عندنا شك من إثارته هذا الاعتراض على من ذكر من علماء الشيعة، وذلك أنه من المؤكد أن الشيخ قد حضر مؤتمراً لهم في لندن في ١٨ من ذي الحجة ١٤١٠ هـ الموافق ١١/٧/١٩٩٠م للاحتفال بيوم الغدير (١) وشاهد وسمع على الطبيعة - كما يقولون - كيف يفكر القوم ، وكيف يحتفلون ، وسُئبت أمامه وعلى مرأى ومسمع منه السنة وأهل السنة الذين ينتسب إليهم سباً مقدعاً ، ولكن لم يبلغنا أنه أنكر على دهاقينهم ذلك المنكر لا بقليل ولا بكثير من إنكاره الذي ينكره على من يشاركونه عدم اعتبار الإمامة والعصمة والرجعة من أصول الدين ، بلّة مشاركتهم له في أشياء أخرى ! (٢)

مشكلة المناخل !!

ولنختم هذه التهاويل بواحدة تعيدنا إلى حيث بدأنا إلى [ص ٤٦] من كتابه ، وهي مشكلة المناخل! ونحب أن تكون مُلحة الوداع ومسك الختام ، ولسنا - والله - ندري ممّ نضحك أكثر ؟ من هذه المشكلة التي ألفت بظلمها الكئيب على الصحابة الكرام وعصرهم ؛ فكانت اختباراً لقوتهم وحكمتهم وصمودهم ، وامتحاناً للمبادئ التي تلقوها من محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله سلم !!! نقول : نضحك أكثر من مشكلة المناخل هذه أم من عرض الشيخ لها واحتفاله بها بتعاضمه المعهود ، وأسلوبه الطريف الذي يزوج فيه بين الخبر والإنشاء بركانة وزكانة ؟ حيث يقول : " ... لقد ظهرت المناخل فيهم فجأة ، (فجأة ، وقعت عليهم وقوع الصاعقة!) وما كان لهم عهد بها من قبل ، (أين كانت مختبئة؟! بل من الذي اخترعها؟! قد يجيب الشيخ لم يكن هناك سجل لبراءات الاختراع حتى نعرف مخترع المناخل! ثم لا زلنا نطلب مزيد تعريف بالمناخل هذه فيزيدنا الشيخ شكوراً) : وهي من أدوات التنعم والترفة في المأكل ، مما لم يكن يعرفه العرب ولا المسلمون من قبل. (إن العرب عند الشيخ هم أكلة الضباب واليرابيع ، وصورتهم عنده كصورتهم عند الفرس عندما يتحدثون عنهم!) فما الذي ينبغي أن يتخذوه؟

أيتبعون في ذلك سنن الصحابة الذين من قبلهم ، فيجتنبون استعمال المناخل في نخل الدقيق ، نظراً لأن ذلك بدعة مستحدثة وكل بدعة ضلالة (معاذ الله! هذا لا يمكن!) أم يُجارون الزمن وتطوراته ، (هذه أهون! لا بد من مجارة الزمن وتطوراته!) وينظرون إلى المسألة على أنها من الأعراف المرسلّة عن قيود الاتباع وعدمه ، ولا علاقة لها بشيء من الأحكام التعبدية التي قضى بها الإسلام ؟

وأيا كان الموقف المتخذ ، فما هو الميزان أو البرهان المعتمد في ذلك ؟ .

حاشية تكميلية !

جواباً للقراء الذين لم يعرفوا الجواب الشافي على تساؤل الشيخ الثاني البادئ بقوله : "أم يجارون الزمن" نفيدهم أن الصحابة الكرام - بعد نقاش عاصف أدى إلى ارتفاع اللهجة ، وتكدير الخواطر ، وأندر بانفضاض مجلسهم على غير اتفاق ؛ مما كان سيكون له أشأم العواقب، وأقلها - لا سمح الله - شرخ (ونؤكد على كلمة شرخ) في وحدة الكلمة، واجتماع الصف التي انتصروا بها على

فارس والروم... نقول بعد تلك الحادثة التي كان سيكون لها ما بعدها جاروا الزمن وأجمعوا على استعمال المناخل، عملاً بأخف الضررين! وهي قاعدة معتبرة في الشريعة، ونخبرهم أنه ما كان لهم أن يصلوا إلى هذا الإجماع المبارك لولا المنهج الذي صاروا إليه، وساروا عليه، والذي: رصده، ثم اكتشفه، ثم صاغه وقَعَدَه الدكتور الشيخ، أو الشيخ الدكتور "البوطي" خلال العشر الأولى من القرن الخامس عشر الهجري.

يتبع

الهوامش :

- ١- يوم الغدير : هو اليوم الذي يزعم الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أوصى لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنص على أن يكون الخليفة من بعده.
- ٢- أنشد أمام الشيخ في ذلك المؤتمر قول الرقيع صاحب بن عباد:
 حب علي بن أبي طالب هو الذي يهدي إلى الجنة
 إن كان تفضيلي له بدعةً فلعنة الله على السنة!
 وقلنا لنقله الخبر : أنتم متأكدون أن الدكتور كان حاضراً وكان يسمع؟ ؛ لعلمهم استغلوا غيبة قصيرة له لقضاء حاجة مثلاً فقالوا ما قالوا؟!
 فقيل لنا : بل كان جالساً وموجوداً بذاته وِعمامته! فقلنا :
 دُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

خواطر في الدعوة دعوة عامة

محمد العبد

من الأخطاء التي وقعت بها الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - ولعلها تحاول تلافئها الآن - التركيز على المدن من جهة وعلى الشباب المتعلم من جهة أخرى، ولا نقول إهمال الريف وجماهير الأمة بشكل عام، ولكنه شبه إهمال، والحجة في هذا أن المدن فيها الجامعات والمدارس الثانوية وهي بؤر الشباب المتعلم.

لا جدال في أهمية الشباب المتعلم، ولكن هل هذا كافٍ وحده للتغيير المنشود، وهل يقع التغيير دون التفاف الجماهير حول الدعاة والعلماء، الذين يبصرون الناس بدينهم ويقودونهم إلى الغاية المطلوبة.

إن طاقات الأمة ليست محصورة بفئة معينة، فقد يتفوق من هو صاحب فطرة سليمة وحب للدين على صاحب دراسات وكتب.

وعندما وضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - العرب في الطريق الصحيح تفجرت طاقاتهم وهم أمة أمية، ونشاهد الآن في أوروبا من يصل إلى الوزارة بل إلى رئاسة الوزراء ممن لم يدخل الجامعة قط، ولكنها الخبرة والتجربة والذكاء.

كنت في زيارة قريبة لبلد عربي، وصلينا مع بعض الزملاء في مسجد قرية من قرأه، كانت وجوه الناس تدل على الطيبة وأصالة المعدن ولكن - وفي الوقت نفسه - كانت تدل على أنه لا يأتيهم أحد يعلمهم أمور دينهم، ويصبح مرشدهم، ويستفتونه في كل صغيرة وكبيرة، ويطيعون أوامر الشرع من

خلال توجيهاته ، وتذكرت أن بعض القرى في بلد عربي آخر لا تبعد عن العاصمة إلا أميالاً وأهلها من أجهل الناس، وكان الدعاة وطلبة العلم في هذه العاصمة لا يكلفون أنفسهم عناء الذهاب إليهم للدعوة، كما تذكرت ما حدثني به أحد الإخوة الأفاضل - وكان يومها طالباً يدرس في القاهرة - عندما ضمه مجلس مع أصحاب الاهتمام بالدعوة وشؤونها، فسألهم عن هذه القضية وهل وقعت الدعوة في هذا الخطأ فاهتمت بالمتعلمين من أهل المدن بشكل خاص، فأجاب أحدهم نعم؛ لأن المدن فيها الجامعات والمدارس ! ، فقال لهم : وما ذنب الريف وباقي جماهير الناس؟! .

لقد تبين مع الأيام أن الدعوة إن لم يلتف حولها الناس جميعهم ، وتصبح قوة يهابونها - فلا تستطيع أن تحقق أهدافها ؛ لأن أي ظالم يمكن أن يدّعي أمام الشعب أن هؤلاء الشباب متهورون، متطرفون، معزولون في بعض الزوايا الخاصة إلى آخر قائمة الاتهامات المعروفة ، ولكنه لا يستطيع أن يستغفل الناس ويقول : هؤلاء الدعاة والعلماء والتجار والصغار والكبار والنساء ، كل هؤلاء يتسترون بالدين.

إن العلماء والدعاة الذين يتكلمون بالحق وبه يعدلون هم الذين تثق بهم الأمة، وهم المؤهلون للتغيير.

فكر

محمد أركون ومعالم من أفكاره

محمد بن حامد الأحمرى

تطورت في عصرنا هذا وسائل الدعاية لكل شيء بمقدار لم يسبق له مثيل ، هذه الدعاية في قضايا الكماليات ووسائل الراحة قد تكون معقولة إلى حد ما ، لكن الغريب من أصناف هذه الدعاية، الدعاية الفكرية لعامة الكتاب والشعراء والروائيين إلى درجة تدفع إلى السأم وعدم الثقة بأي شيء يشتهر من كتاب أو كاتب أو صحيفة ، فيجعلك هذا لا تثق بالشهرة لأي عمل، إذ قد يكون في غاية الرداءة والفساد لكن جيوش الإعلام والترويج تحاصر حتى تفقد بصيرتك. وقد حاصرنا الدعاية في زماننا ورفعت في وجوهنا مجموعة من الكتاب والمفكرين والأدباء، وأصقتهم في وجوه ثقافتنا كرهاً، وألزمنا بهم وحاصرنا كتبهم في كل زاوية ، وليس هذا الحصار فقط بين العرب ، بل لقد شكّت إحدى المستشرقات وقالت : إن أدونيس لم يقل شيئاً ولكن اللوبي الأدونيسي هو الذي أعطاه الأهمية" ! . هذا الجيش الدعائي من وراء كتاب صغار أو مغالطين كبار هو الذي أعطاهم أهمية كبرى في عالم الكتاب العربي .

قال أحد القراء لقد رأيت كتب أركون ولفت انتباهي الدعاية الكبيرة لها؛ فذهبت مع القوم واشتريت منها وقرأت الأول والثاني فما أحسست بفائدة ولا ساعدني الفهم ، وقلت كاتب متعب ولكن زادت الدعاية للرجل فقلت في نفسي : النقص في قدرتي على الدراسة والفهم ، وسكتُ وخشيت أن أقول لأحد : لا أفهمه ، حتى إذا كان ذات يوم جلست إلى قارئ وكاتب قدير وتناول كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي" وقال : لقد حاولت أن أفهم هذا الكاتب أركون فما استطعت ، فكأنما أفرج عني من سجن وقلت : رحمك الله أين أنت فقد كنت أبحث عن قارئ له يعطيني فيه رأياً ، لا الذين أكثروا من الدعاية له دون دراية.

وحتى لا تضر بنا المبالغة في هذا إليك نموذجاً للدعاية الأركونية : علق هاشم صالح مترجم أركون إلى العربية في آخر كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" يقول هاشم : بعد أن تركت محمد أركون رحمت أفكر في حجم المعركة التي يخوضها بكل ملابساتها وتفاعلاتها ، وهالني الأمر فكلمتا توهمت أن حدودها قد أصبحت واضحة محصورة ، كلما اكتشفت أنها متشابكة معقدة ، شبه لا نهائية. هناك شيء واحد مؤكد على أي حال : هو أن محمد أركون يخوض المعركة على جبهتين جبهة الداخل، وجبهة الخارج، جبهة أصوليي المسلمين ، وجبهة أصوليي المستشرقين :

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبك تميل ؟ (١)

هذا مثل مما يفعل هذا المترجم ، وقد يفاجئك مراراً بالمدح في وسط الكتاب أو في المقدمة أو في الهامش (٢) أو في لقاءاته مع أركون التي تمثل جزءاً كبيراً من أعماله ؛ فهذه طريقة في الكتابة جديدة إذ يُجري المترجم حواراً حول أفكار أركون بعد كل فصل أو في آخر الكتاب كما في "الفكر الإسلامي قراءة علمية" ، أو "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد".

أثناء قراءة أعمال أركون قد تصادفه ينقد مدرسة عقائدية أو فقهية ، ويحاول أن يقول إنها خرافة، وأسطورة دغمائية كما يحلو له أن يكرر، وتقول : لعله ينصر المدرسة الأخرى ، فهو إما شيعي أو خارجي ، ثم يخرج عليك في صفحة أخرى وهو يعرض بعدم معقولية فكرة الإمامة لدى الشيعة (٣) ، ثم في مكان آخر لا يتفق مع الإسلام السني المتزمت في نظره (٤) علماً أن السني عنده هم الأشاعرة ، وأما أحمد وابن تيمية فيدعوها حنابلة متزمتين . وتحاول جاهداً أن تقف تماماً على ما يريد فإذا هو متناقض لا يؤمن بشيء ولا يرى أن لهذا العلم أو التراث الإسلامي أي مكانة إلا في عين المدارس النقدية الغربية ؛ فما أقرته فهو الحق والمحترم - كنص للدراسة ليس أكثر من نص بشري قابل للأخذ والعطاء - وما لا تقره المكتشفات الأسلوبية اللغوية الاجتماعية والنفسية المعاصرة فإنه لا يرى إقراره والاهتمام به لقدمه وتخلفه عن العصر.

ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجُل ما قال في الكتب الأخرى ، وأشار فيه بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحدائث والتجديد.

عند أركون أهداف واضحة لمن يستقرئ أعماله ويصبر على التزوير والمراوغة واللعب بالكلمات في غير معانيها حتى يحصل على هدفه الكبير من كل مشروعه وسيأتي بيان الهدف بعد ذكر وسائله إليه .

الوسائل :

أول وسائله نقد الكتاب الإسلاميين الذين ليست لهم صلة بالمدارس الغربية في الفكر ، والذين ليس لهم إلمام بعلوم اللسانيات والاجتماع والنفس والنظريات التي خرجت - فيما يرى - بعد الخمسينات من هذا القرن الميلادي ، وبالتالي يطالبهم بالمشاركة والدراسة لمستجدات النظريات الإنسانية الغربية ، ثم هو يستخدم نظريات ميشيل فوكوه في مسائل المعرفة والسلطة ، ويرى تاريخية المعرفة وبكونها قابلة للتغيير والتطوير والشمول ، وأهم جوانب المعرفة التي يتحدث عنها المعرفة الدينية بكل أبعادها ، ويرى اعتبار المعرفة الإسلامية نموذجاً أسطورياً لا بد أن يخضع للدراسة والنقاش - كما سيأتي - ويرى المجاهرة باعتبار العلوم الإسلامية سياقاً معرفياً أسطورياً يزعم المسلمون ويهز إيمانهم ، ولكن لا بد - كما يرى - من بناء مفاهيم جديدة مستمدة من الاحتياجات الجديدة كما فعل السلف، ويرى أن هناك مناطق عديدة في الفكر الإسلامي لا تمس ولا يفكر فيها مثل

مسألة عثمان - رضي الله عنه - وقضايا جمع القرآن، والتسليم بصحة أحاديث البخاري والموافقة على الأصول التي بناها الشافعي، ويرى أنه يضع أساساً للاجتهد وعقلانية جديدة (٥) ، وهو يرى أن الوعي الإسلامي قد انشق فيما بين السنة والشيعه ، والوسيلة عنده ليست بالتوفيق بين الجانبين ولا الانتقاء منهما إنما الوسيلة نقد الطرفين وهو يعتنق "النقدية الجذرية" للطرفين وإسقاط كل الحجج التي بأيدي الجميع ، وبالتالي فإن النص السني مغلوطة ومزور والنص الشيعي نص العدالة والعصمة مغلوطة ومزور وأسطوري، والمطلوب أن يتحرر كل من الفريقين من نصه فيتوحدان (٦).

الأهداف :

من أهم ما يهدف له أركون في كتاباته المكررة والمملة نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته واعتباره نصاً أسطورياً (٧) قابلاً للدراسة والأخذ والرد. وهو يغالط كثيراً في معنى كلمة "أسطورة" ويقول : إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على أسماع العرب الذين يربطون بين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة، لكن ما هي الكلمة التي يستخدمها أركون في تعبيره عن القرآن باللغة الفرنسية التي يكتب كل كتبه بها.

إنه استخدم كلمة MYTHE وبالإنجليزية MYTH وكنتا الكلمتين تعني الخرافة أو الحكاية والكلمتان جاءتا من الكلمة الإغريقية MUTHOS وهي تعني في جميع اللغات الأوروبية حكاية خرافية شعبية تتحدث عن كائنات تجسد - بصورة رمزية - قوى الطبيعة والوضع الإنساني (٨).

ثم إذا سلم بهذه الأسطورة - بزعمه - فإنها أولاً لم تصلنا بسند مقطوع الصحة؛ لأن القرآن - كما يقول - لم يكتب كله في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بل كُتبت بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابة القرآن فيما بعد (٩) وهذه من المغالطات التي يسوقها أركون بكل سهولة ويخلط فيها ما بين قضية الجمع وقضية الكتابة ، وبزعم أن الظروف السياسية هي التي جعلت المسلمين يحافظون فقط على قرآن واحد ويتركون ما عداه (١٠).

ومن أجل أن يمهد لما يريد من إنكار القرآن سنداً في أول الأمر يدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقعي المحسوس هو الذي يحاكم إليه القرآن ، فالأخبار والآثار التاريخية هي الموثوقة! ولنقرأ له هذا النص الذي يجد القارئ في كتبه كثيراً مثله يقول :

"ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس" (١١) .

ويرى أن القرآن عمل أدبي لم يدرس كما يجب إلا من قبل ندرة أهمهم عنده "محمد أحمد خلف الله" عندما كتب عن القصص الفني في القرآن وقال إن القصة القرآنية مفتعلة، ويتحسر على عدم استمرار "خلف الله" ويذكر أن الأسباب التي لم تمكن "خلف الله" في عمله أنه راعى الموقف الإسلامي الإيماني أولاً ، وثانياً : لنقص المعلومات. إذن فقد آل الأمر إلى أركون الذي سيهاجم القرآن؛ لأنه لا يراعي الموقف الإسلامي الإيماني لأنه مطلع على الأبحاث الجارية. ومع زعمه أنه يعرف الأبحاث الجارية التي كتبها فوكوه والحاخام دريدا ؛ فإنه يظهر للقارئ بشكل يجعله لا يثق في قدرة أركون ولا أنه فهم ما زعم فهمه من قضايا المعرفة ونقد اللاهوت ونظريات النبوية وما بعدها (١٢) ، ويعاني في عرضه للأقوال من عدم التوثيق أو القول الصحيح لما ينقل ؛ إذ يقلب كل قضية قرآنية أو تفسيرية أو سياق لعلم حتى يفسد المعنى ويلويه إلى ما يريد كما مر معنا في

مسألة كتابة القرآن ، ومثال آخر يعرف الوحي بقوله : "إنه يُدعى بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت" (١٣).

معاني القرآن :

لو تجاوزنا قضية شكه في القرآن وردّه للسنة من باب أولى فماذا يفسر به القرآن وكيف يفهمه، إنه يقول : "إن القرآن - كما الأناجيل - ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري ، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس - اعتقاد الملايين - بإمكانية تحويل هذه التعبيرات المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف" (١٤) .

ويقول في موضع آخر :

"إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تُتلقَى بصفاتها تعابير أدبية ، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي - أن يعيها ويكشفهما" (١٥).

ويفصل أركون بين القرآن والشريعة ، فالقرآن عنده "خطاب مجازي يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز ، والمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة المجاز" (١٦) ولكن هناك البشر المحسوسون العائشون - كما يقول - في مجتمع وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعاً من التنظيم والضبط وهكذا تم إنجاز الشريعة (١٧) ثم يعقب بأن هناك مجالاً أسطورياً مجازياً وهو مجال القرآن، ومجال آخر واقعي للناس هو مجال الشريعة ويقول : "إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة التي هي القوانين الشرعية وأن المناخ الميثي (الأسطوري) الذي سيطر على الأجيال السابقة هو الذي أتاح تشييد ذلك الوهم الكبير ، أي إمكانية المرور من إرادة الله المعبر عنها في الكتابات المقدسة إلى القوانين الفقهية (الشريعة) وحجته في ذلك ما يلي : في الواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من الكلام (من الخطاب) وهناك فرق بين خطاب شعري أو ديني ، وخطاب قانوني فقهي أو فلسفي ، ولا يمكن لنا أن نمر من الخطابين الأولين إلى الخطابات الأخرى إلا بتعسف واعتباط" (١٨) ألا ترى أنك يا أركون قد استطعت أن تمرق من الخطابين .

مكانة السنة عنده :

ليس هذا مجالاً لمتابعة هذه الأقوال والرد عليها، فيكفي هنا التعريف بمعالم فكره بما فيها جرأته على الشك في ثبوت وصول القرآن إلينا ، وجرأته على نفي الحديث والزعم بأن الظروف السياسية وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام احتاجت إلى أحاديث وقال : "إن السنة كُتبت متأخرة بعد موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزمن طويل وهذا ولد خلافات . لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية ، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة" (١٩) . وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة كما يسميها (٢٠)، ثم يقول: "وبالطبع فإن مسيرة التاريخ الأرضي وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام - قد خلقت حالات وأوضاعاً جديدة ومستحدثة لم تكن متوقعة أو منصوفاً عليها في القرآن ولا في الحديث، ولكي يتم دمجها وتمثلها في التراث

فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدموها إما بواسطة حديث للنبي ، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس" . (٢١)

الشريعة والحياة تلك هي مكانة الشريعة عنده وهذه مكانة أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ لا يرى أي تشريع جاء به القرآن، وأن القرآن خطاب أدبي عاطفي لا علاقة له بالحياة، والشريعة ضرورة اجتماعية أملت ظروف المجتمع وحاجة الناس، وهي في مجموعها تراث إذا قابلت في الطريق ثقافة مجتمع آخر أو استجد شيء فإن هذا الجديد يدمج في هذا التراث بواسطة حديث أو قياس ، وهو يناقض نفسه تماماً ، إذ لو لم تكن الشريعة من غير هذين المصدرين كأساس لما سعى المعنيون بالأمر - كما يسميهم - لفعل ما كذبه عليهم. وهذا مثال واحد كبير من الغث والانحراف والكفر الذي يملأ به كتبه، كله يناقض بعضه بعضاً، وكفاه زوراً أو جرأة على كتاب الله قوله : "وليس في وسع الباحثين أن يكتفوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع للحقائق الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طرحت منذئذ على أنها بآن واحد مما يمكن تعريفه واستخدامه وأنها متعالية" (٢٢) وهو يرى أن الباحثين - يعني نفسه ومن تابعه - (إذ حتى كبار الكفار من المستشرقين لم يحملوا على القرآن والسنة والأمة كالحملة التي يقودها أركون ولم يستطيعوا القول بكل هذه الافتراءات في آن واحد) لا يسعهم تطبيق القرآن لأنه نزل في الجزيرة في ذلك الزمن القديم، وهو لا يرى نفسه وهو يقدر ويستسلم لبقايا قوانين الرومان، بل ويحاسب الإسلام على أفكار فوكوه هل تتطابق معها أم لا ، ويقول في نفس الوقت بأن القرآن حقائق، وقد سبق أن قال إنه مجازات عالية وقد أجمع القائلون بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر (٢٣) ، علماً بأن المجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين والذي قال فيه الشنقيطي إن وروده في القرآن غير صحيح ولا دليل يوجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل ونحن ننزه القرآن على أن نقول فيه مجاز بل نقول كله حقائق . (٢٤)

ونقل الشنقيطي عن عدد من العلماء عدم جواز المجاز في اللغة أصلاً فضلاً عن القرآن وهو - أي الشنقيطي - ممن يرى هذا، وأركون لا يرى أن آيات الأحكام هي المجاز، ولا آيات الصفات كما قال بعض السابقين المخالفين لأهل السنة، لكنه يرى كل القرآن مجازات عالية ، ومرة يقول متعالية أي تكون بعيدة عن المجتمع سياسة واقتصاداً واجتماعاً ، إنما تهذيب روعي لا علاقة له بالدنيا.

وليس هذا مكان الحديث عن المجاز ولا الخلاف فيه . لكن جاء بمناسبة خلط أركون وتناقضه؛ إذ يقول : القرآن حقائق نزلت قديماً ثم يرجع ويقول مجازات عالية . إن أركون يهدم كل شيء ولا يقيمك على سنن ولا يثق بأحد ولا يعلم أحد، فهو يسخر من كل من سبقه حتى يسخر من الطبري ومن طريقته في التفسير. وما دام قد اجترأ على كتاب الله وسنة رسوله كل هذه الجرأة فماذا يتوقع القارئ عن غيرها. وهناك جوانب عديدة يستنكرها كقضايا الثواب والعقاب والبعث بعد الموت (٢٥) . ويرى في آيات القرآن التي تحدثت عن الجنة وثوابها سياقات شعرية ، وأيضاً يرى رمزية العذاب.

خلاصة :

يرى أركون أن القرآن والكتب السابقة تعاني من سياق واحد ، ويضع القرآن مع الأنجيل في مستوى من الثبوت والدراسة واحد ، وبرى أهمية النقد والتجديد. وعمله هذا النقدي السلبي النافي - الذي يمسح كل الحقائق وكل المعاني - لا يمكن بحال أن يكون مذهباً فكرياً بديلاً ؛ بحيث يحل

محل شيء من الفرق أو الجماعات التي وجدت على الساحة الإسلامية وليس بأسلوب يمكن قبوله من قبل السنة أو الشيعة؛ ذلك أنه يلغي الجميع ويرى العدمية (٢٦) التي يقدمها هي البديل أو التجديد ، فالشك والجدود بكل شيء لن يكون أبداً بديلاً للإيمان ، إذ هذا العدم لا يكون ديناً ولا يبني خلقاً ، وهو يرى - مع هذا - ضرورة النظام في حياة الناس ويرى أهمية القوانين وهذه القوانين عنده تنشئها الضرورة الاجتماعية ، لكن أي مجتمع وأية قوانين ، أما المجتمع فلا يرى أركون أن يكون للإسلام سلطة عليه؛ لذا فليس للإسلام أن يسن أي قانون في ذلك المجتمع إذ ليس للإسلام في نظره أي قانون ولا علاقة بالوجود ، وهو قد بذل وعصر كل سمومه وآفات الملحددين في الغرب لينكر المصادر أولاً ثم لو افترض إثباتها فليس لها حقائق ولا معاني تمس الناس ، ثم إذا فهم منها معاني فتلك المعاني جاءت للحاجة والضرورة ؛ لأنه لم يكن هناك قوانين في المجتمع. وقد علق أحدهم على نمط تفكير أركون وأسلوب تعامله مع النصوص فقال : إن تجديدية أركون هي تجديدية عدمية ولا نحسب أن مسلماً عاقلاً يهتم لقراءة أركون النافية (٢٧) وهذا ملخص لبحث مطول يتناول كتب ومقالات أركون ، ومع أن أعماله غير معقولة لكن - ويا للأسف! - إن الذي يتحكم في سلوك وأفكار العالم الإسلامي اليوم هو (اللامعقول) لهذا يحتاج إلى بيان .

الهوامش :

- ١- الفكر الإسلامي فكر واجتهاد ص ٣٣٥ ، "حقاً إن أركون أشد على الإسلام هجوماً من مفكري الروم وسيأتي بيان ذلك".
- ٢- انظر الكتاب السابق ص ٢٥٤ ومواقع عديدة في "الفكر الإسلامي قراءة علمية".
- ٣- أركون ، مقابلة مع أدونيس ، مجلة "مواقف" ، عدد رقم ٥٤ - ربيع عام ١٩٨٨ ، ص ١٠.
- ٤- أركون ، الفكر العربي ، ترجمة عادل العوا ، ص ١٢٨ والفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص ٩. ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجل ما قال بعد في الكتب الأخرى وفيه إشارة بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.
- ٥- عيسى بلاطة ، توجهات وقضايا في الفكر العربي المعاصر ، ص ٨٩-٩٠.
- ٦- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص ١٩٠.
- ٧- محمد أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٢٠٢ وما بعدها.
- ٨- محمد العربي الخطابي ، مقال بعنوان "الأسطورة الأصلية في رأي أستاذ جامعي" ، جريدة "الشرق الأوسط" ٢٦/٢/١٩٩٠.
- ٩- محمد أركون الفكر ، الإسلامى نقد واجتهاد ، ص ٨٥-٨٦..
- ١٠- المصدر السابق ، ص ٨٦.
- ١١- أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٢٠٣.
- ١٢- انظر مجلة الحوار ، عدد ٩ ، ص ١١٧-١١٨.
- ١٣- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص ٧٩.
- ١٤- تاريخية الفكر الإسلامي ، ص ٢٩٩.
- ١٥- الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ١٩١.
- ١٦- تاريخية الفكر الإسلامي ، ص ٢٩٩.
- ١٧- المصدر السابق ، ص ٢٩٩..

- ١٨- المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ،
 ١٩- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص ١٠٢ ،
 ٢٠- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص ١٠٣ ،
 ٢١- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص ١٠٨ ،
 ٢٢- أركون ، الفكر العربي ، ص ١٧٤ ترجمة عادل العوا .
 ٢٣- الشنقيطي ، منع جواز المجاز ، ص ٨ ،
 ٢٤- الشنقيطي ، منع جواز المجاز ، ص ٥١ ،
 ٢٥- للتوسع يراجع الفصل الأخير من كتابه "الإسلام أصالة وممارسة" ترجمة د. خليل أحمد ، وأيضاً
 مواضع متعددة من "الفكر الإسلامي قراءة علمية" .
 ٢٦- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص ١٩٠ ،
 ٢٧- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص ١٩٠ .

فن القراءة السريعة

د. مبارك الغربي الشمري

في هذا الزمان الذي يطلق عليه البعض عصر السرعة (صواباً كان أم خطأً) هناك عوامل عدة تتطلب من الفرد المسلم مضاعفة قراءته وعمل خطة تثقيفية للرقى بمستواه، ومن هذه العوامل ما يلي :

- * الصحوة الإسلامية المباركة في أرجاء العالم الإسلامي والتي رفعت الوعي الثقافي والتحصيل العلمي لدى جيل الصحوة.
 - * الارتفاع المطرد في عدد المطبوعات في العالم العربي في شتى المجالات .
 - * تحسن المستوى الاقتصادي نسبياً مع الانخفاض في أسعار الكتب المطبوعة باستخدام التقنية الحديثة التي سهلت للكثير اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات المنزلية.
 - * متطلبات الحياة العصرية أجبرت الكثير من الناس على الاطلاع على الكتب لمعرفة أسرار هذه الحياة.
- وعندما نتحدث عن القراءة يجب أن ندرك أنها متعددة الأنواع وتتمحور حول أربعة فروع رئيسية :
- (١) القراءة الثقافية : وتشمل الإمام بالأولويات من أمور الدين والدنيا بما فيها الثقافة الشرعية الواجبة على كل مسلم والمعينة له على التزام الطريق الصحيح في هذه الحياة.
 - (٢) القراءة الأكاديمية (الدراسية) : هذه القراءة تستوجب الفهم المتعمق لعدة مواد ليتمكن المرء من اجتياز اختبار معين أو الحصول على مؤهل دراسي يعينه على العمل وتحديد المهنة. والقراءة الأكاديمية لها عدة خصائص منها الإمام بكل نواحي المادة المقروءة، وتتميز أيضاً بعدم وجود عامل الاختيار الحر للمادة المقروءة .
 - (٣) القراءة المرجعية : نقوم بهذه القراءة عندما نرغب في البحث عن معلومات معينة قد تتطلب الاطلاع على عدة مراجع أو كتب . فعلى سبيل المثال تكون قراءتنا مرجعية عندما نبحث عن تفسير آية أو معرفة حكم أو صحة حديث أو عند التحقق من معلومات جغرافية عن بلد معين...

(٤) قراءة المتعة : قد تكون هذه أقل القراءات شأنًا وتشمل قراءة الصحف والشعر وبعض القصص وما شابه ذلك ، وهدفها غالباً يكون الترويح عن النفس و للتسلية . ولا شك أن الدراية بأصول القراءة السريعة سوف تعود بالفائدة العظمى على الفرد الواعي الطموح الراغب في استغلال وقته على أحسن وجه مهما كان نوع قراءته. فالسؤال الذي يطرح إنن هو : ما هي القراءة السريعة وما هي مبادئها ؟ .

القراءة السريعة - كما يدل عليها اسمها - هي عبارة عن أسلوب للقراءة تتضاعف به كمية المادة المقروءة في وقت معين مع الاحتفاظ بكامل الاستيعاب . فالفرد الذي يتقن هذه المهارة بإمكانه في المتوسط اختزال وقت قراءة كتاب معين إلى الربع أو أقل ، وهذا المتوسط يعتمد أيضاً على مستوى القارئ وثقافته ومدى إتقانه وتدريبه على هذه المهارة ، ولكن هناك بعض المبادئ الرئيسية والفرعية التي بإمكان أي فرد أن يطبقها بنفسه ، ويمكن تلخيص بعضها فيما يلي :

أولاً: المبادئ الرئيسية :

أ- مسح المادة المقروءة :

ويتلخص في الأقيام بعملية مرور سريع للتعرف الشكلي على المادة قبل الشروع الفعلي في قراءتها . فمثلاً عند قراءة كتاب ما يمكن أن تتم عملية المسح بالخطوات التالية :

- * الاطلاع على مقدمة الكتاب والتعرف على أهداف المؤلف من كتابة الكتاب .
 - * التعرف على أبواب أو فصول الكتاب الرئيسية و عناوينها العريضة وعلاقة بعضها ببعض.
 - * إلقاء نظرة سريعة على الأشكال التوضيحية المستخدمة في الكتاب وعلى الخاتمة .
- وكذلك يقال في المقال ؛ حيث ينبغي التعرف على الموضوع وعلى الأهداف والأسلوب العام للموضوع.

وعملية المسح هذه لها دور كبير في التحضير الذهني مما يساعد على سرعة الاستيعاب وبالتالي على سرعة القراءة.

ب - إتقان أسلوب القراءة المطردة :

اعتاد كثير من الناس منذ الصغر على عملية التراجع لقراءة الكلمة أو الكلمات مرة ثانية أو عدة مرات وأحياناً السطر بأكمله ، وقد تستمر هذه العادة مع الشخص حتى الكبر مع عدم وجود المبرر لها . فعملية التراجع عند القراءة تؤدي إلى تشتيت الذهن وإعاقة تسلسل الأفكار لإكمال الصورة وترسيخ فكرة المادة المقروءة. ويعتبر التراجع من أكبر عوائق القراءة السريعة. ومن السهل التخلص من هذه العادة بالإصرار على عدم التراجع أو التوقف ، بل محاولة الاستمرار في القراءة ، وبالطبع في المحاولات الأولى ستقل درجة استيعاب المادة المقروءة ولكنها بعد التمرس ترتفع ثانية إلى ما كانت عليه سابقاً أو أكثر .

ج - استخدام القراءة العينية المنتظمة:

إن عملية الجهر بالقراءة أو مجرد تحريك الشفاه تستغرق وقتاً أكبر وتتطلب جهداً أكثر ويعتبر ذلك أيضاً من أكبر معوقات القراءة السريعة ؛ ولذا يجب اجتناب تحريك العينين بدرجة كبيرة بين بداية السطر ونهايته وباعتياد ذلك يتوسع مدى العين وتتمكن من النقاط كلمات السطر في نظرة واحدة وبصورة منتظمة ومتتابعة لكل سطر أو لكل مجموعة من الكلمات . ولا يمكن تحقيق هذا إلا بعد التخلص نهائياً من عملية التراجع السابقة الذكر عند القراءة . فتنطبق هذه العملية سيرير العين وينظم حركتها وسيؤدي في الوقت نفسه إلى مضاعفة سرعة القراءة .

د- التعايش مع المادة المقروءة :

هذا المبدأ مرتبط بسابقه ، ويعني التركيز التام ومحاولة التعايش الخيالي في جو الفكرة وربط أجزائها ببعض للوصول إلى الصورة النهائية لمفهوم الموضوع المقروء . وهذا العنصر له مردود كبير أيضاً في سرعة استيعاب الفكرة وترسيخها في الذهن بالإضافة إلى زيادة سرعة القراءة .

ثانياً : العوامل الفرعية :

هناك أيضاً بعض الصعوبات التي تبدو وكأنها قليلة الأهمية ، ولكن لها دور كبير منها:

أ - الجلسة الصحيحة :

عند القراءة يجب الجلوس جلسة صحيحة ومريحة بدون الاسترخاء التام ؛ حيث إن الجلسة الخاطئة تعيق الدورة الدموية التي تؤدي إلى تدني سرعة الاستيعاب، أما الاسترخاء فيفقد التركيز . ولكن يمكن استغلال وقت الراحة والاسترخاء لقراءة المتعة والتسلية التي لا تتطلب كثيراً من التركيز وليست ذات أهمية كبرى .

ب - اختيار الوقت والمكان المناسب :

يجب اختيار الأوقات التي تناسب نوع القراءة ؛ فالقراءة الثقافية والأكاديمية تتطلب أن يكون القارئ نشطاً كالصباح الباكر ، وبعيداً عن الضوضاء والمقاطعات ، وفي مكان تتوفر به التهوية والإضاءة المناسبة.

ج - تحديد مدة القراءة :

قبل الشروع بقراءة كتاب معين يجب تحديد طول الوقت المناسب لإكمال قراءة الكتاب ؛ فوجود عامل الضغط له أثر نفسي في رفع مستوى وسرعة القراءة كنتيجة لتحديد الوقت . وأخيراً - عزيزي القارئ - قد تتساءل عن مدى إمكانية تطبيق هذه المبادئ ، ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نتذكر بأن النشاط البدني الرياضي يحتاج إلى التدريب والتمرين ؛ لذا فإن فن القراءة السريعة من السهل جداً إتقانه ، ولكن بالتطبيق والتدرج .

ظواهر**أصنام عصرية****محمد بخات الإدريسي**

إن هذه الأصنام العصرية - مع الأسف الرياضية - بمعنى أنها ظهرت في عالم الرياضة ، وباسمها وفي ميادينها، بحجة الجمال الجسمي، والكمال البدني، واللهمو البريء، والتنافس الشريف، والتباري النظيف للترفيه عن النفس بما هو رياضي ، حتى يعيش الإنسان في حياة رياضية، وبذلك ينمو جسمياً ويزكو عقلياً ، إلا أن الرياضيين انحرفوا ومحببيهم انحرفوا، وقد كان هذا الإفساد الذي طرأ على عالم الرياضة متوقفاً بل كان مقصوداً والبرهان هو التنافر والنقائل والتنافر والتعارض والضحايا في سبيل الرياضة وبالأخص كرة القدم. كنت أسائل نفسي قائلاً وباحثاً : ألم ينحرف الناس من عشاق كرة القدم عن أهدافها التي تبدو معروفة ومعقولة ؟ ألم ينشغلوا بها إلى أبعد الحدود؟ ألم يلهموا بها إلى حد المبالغة التي أدت إلى إضاعة حقوق وإزهاق أرواح؟ فأين الروح الرياضية والتعني بها وأين سمو المقاصد منها؟؟

ولم يطل التساؤل ولا البحث، ولم أتهم نفسي بعدم التوفيق في وضع النقط على الحروف، فقد وجدت الجواب المقنع أو بالأحرى الحجة الدالة على وجود الأصنام العصرية بالأشكال الرياضية من بروتوكولات حكماء صهيون : "... إنما توافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً إذا أعطيناها ملاهي جديدة أي التجارة التي نحاول، فنجعلها تعتقد أنها أيضاً مسألة سياسية. ونحن أنفسنا أغرينا الجماهير بالمشاركة في السياسات ، كي نضمن تأييدها في معركتنا ضد الحكومات الأممية (غير اليهودية) . ولكي نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أي خط ممل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا. وسرعان ما سنبداً الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات : كالفن والرياضة وما إليهما . هذه المتع الجديدة ستلي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه" (١).

هذه الكلمات من البروتوكولات برهنت بها على وجود الانحرافات المرادة في عالم الرياضة عند المحترفين والهواة على صعيد أي لعبة رياضية ، ففي بداية شهرة الرياضات كان المقصود منها شريفاً وظاهراً للعيان ، ولكن بالتدريج تحققت لليهود الفوائد المرجوة منها كمشروعات من بنات أفكارهم تستهدف القضاء على غير اليهود بالإضعاف والاستعباد بالوسائل الرياضية، هذا الاستعباد الذي نتج بالتنافس المريب، والإلهاء الدائم، والتحريض اللامشرف ، والتضييع للأوقات فيما لا يفيد أو ينفع.

وحتى لا يستمر تجسيم عنصر الشر والفساد في شتى الرياضات أصبح من الواجب تعليمها بحذر، ومزاولتها بتوجيه، والإقبال عليها بوعي، وبذلك نفوت على يهود الأغراض التي يريدون منها ، ونخيب رجاء حكماء صهيون فيما خططوا له وابتكروا من وسائل وفنون رياضية تلهي وتضيع بالانشغال بها والانكباب عليها. ولعل الملاحظ المنصف يؤيدني في وجهة نظري هذه إذا تمعن فيما وضحت واستنتجت خصوصاً إذا مثلت له بكرة القدم ، هذه اللعبة التي ضيعت أوقات الصغار والكبار وألتهتهم عن معالجة مشاكلهم وتصحيح أوضاعهم وتحسين واقعهم والتخطيط لمستقبلهم بالأفيد الأهم والأصلح الأعم.

ولكن أين نحن من هذه التحسينات الضرورية والتصحيحات الإصلاحية ما دام الناس في غفلتهم المعهودة، كل تجمعاتهم عن الرياضة وكل مشاهدتهم لكرة القدم حتى صاروا أسارها ، وكيف لا يكونون ضحاياها وقد سلبت وقضت على إرادتهم ، وضيعت طاقاتهم بالاهتمام والافتتان بها، يحضرون تجمعاتها، ويقبلون على مبارياتها ، ويفرحون للانتصار ويحزنون للاندحار؟! وقد بلغ بهم الحب الأعمى والتعلق بها إلى حضور حفلاتها والتفرغ لها غاية بعيدة ، أما تجمعات الدين فقد غدت مُهْملة مهجورة.

و ما الدين ؟ أليس في نظرهم حياة على الهوامش حافلة بالمحظورات ، مانعة للشهوات ، مضيعة للفرص مع الرغبات ، مضيعة على النفوس ، معطلة للطاقات!!

وقد انغمس في الرياضة وغلا في حبها الكبار ، بل سلبت عقول الصغار الذين لا تكاد تجد أحدهم يحادثك عن شيء غير كرة القدم، فهو يهمل ما عداها، ويقبل عليها لعباً ومشاهدة، ويلم بتاريخها ويعرف مشاهير لاعبيها وفرقها المحلية والعالمية ، وان كلمته بالتدريج عن دينه ظهرت سلبيته فيه، وتجلت إيجابيته في غيره، فهو مسوق، وهو مقلد، وهو مسحور بكرة القدم، وهو مقدس لها، وذلك ما استهدفته بروتوكولات صهيون، وهكذا تجد عندهم العلم بأنواع الرياضات وفرقها وأبطالها مع

معرفة أسمائها وأسماء أعضائها المشهورين الذين يحفظون أسماءهم عن ظهر قلب .. و لكن لا يحفظون فاتحة الكتاب ولا كلمات التشهد! (٢).

إن كرة القدم ومثيلاتها من بنات الرياضة - وبنات النظرة الجاهلية - أصنام عصرية تجسم ضياع الإنسان العصري كما جسمت اللات والعزى ضياع الإنسان العربي فيما مضى في جاهلية ما قبل الإسلام.

الهوامش :

- ١- عن كتاب "الخطر اليهودي .. بروتوكولات حكماء صهيون" ، ص ١١٨ لمحمد خليفة التونسي ، طبعة دار الكتاب العربي ، عام ١٩٥١
- ٢- كنت قد قمت بتجربة في هذا الصدد مع جماعة من الشبان فلم أحظ إلا بواحد يحفظ بتذنب سورة الفاتحة ! .

شعر

يا حابسَ الفيلِ

مروان كجك

يا حابسَ الفيلِ احبس مجرماً مرداً على النفاق قد اختار الأذى جُدداً
 في كل بيت له عين ومِقْصَلَةٌ هذي تُريعُ وتلكم تفصم الكبدا
 قد جاءنا ونذيرُ الشرِ يحمله على الأكف، وصوتُ الحق قد جمدا
 فهللت لنداه الضحلِ شردمة لم تدر أن زمان القهر قد وُئدا
 قد غاب عنها من الآتي وما دمه وصار صوتُ بني الإسلام رجَع صدى
 يا قومُ إن لكم فيمن مضوا عِبْرًا ما كان جدُّكم خَبًّا ولا حَرِدا
 قد كان والله سيفاً مُصَلَّتاً عبقاً بكل طيب، على الرحمن معتمداً
 إذا تراءى له شر مضى قُدماً يسابق الريح كي يحظى بما وُعِدا
 وإن أتاه بأن القوم قد جمعوا له السرايا وجاءوا كلُّهم عددا
 لم ينهه عن لقاء القوم ما جمعوا ولا التريث، أو قلب له ارتعدا
 سيروا على نهجه يا قومُ تنتصروا ويجعل الله من أعدائكم بَدداً
 وتنبت الأرض عدلاً والسماء غني ويُهزَمُ الجمع ذو الأعلاج والعمدا
 وتسطع الشمس في أنحاكم فرحاً برفعة الحق واستخذاء من قعدا
 يا حابس الفيل شأن المسلمين غدا سَفِلاً وشأن بني الطغيان قد سَمدا
 ونافخ الكير أضحى سيداً عطراً وحامل المسك يا تُعساه قد هُرِدا
 وسارق الكحل من عين مؤرقة أضحى أميناً يطبُّ الحَسَرَ والرَمِدا
 وخائن العهد قد أضحى أخا ثقةً وصادق الوعد في الخُوَان قد حُشِدا
 كل الموازين يا ربَّاه قد قلقت صارت نتائجها للمسلمين سدى
 ضاعت معالمهم فيها وما ظهرت لهم مباحجُ أو نصرٌ لهم عُقدِدا
 فسدَّ الله في الدنيا طرائقهم واجعل مفاوزهم في العالمين هدى
 واقصم عدوهم يا رب واقض لهم بكل خير وكن عوناً ومُلْتَحِداً

واصرف ضراماً تنادى الحاقدون له واكشف بفضلك عن أنحائنا الكمدا
واحبس بقدرتك العصماء ما صنعوا عنا، ودعهم حيارى يشتهون ردى
فقد تمادوا وظنوا أننا صُبرٌ على الأذية، حملانٌ لهم بُداً
سيعلم الجمع منهم مَنْ نكون غداً إذا انتضينا سيوفاً تنشدُ القودا
سيعلم الجمع منهم أننا نُجِبُّ في أرضنا الصدقُ والإسلام قد وُلدا
ذاك الفرات وهذا النيل يرفده نَعَم الرفادة والإرواء يا بردى
وماء زمزم ما ينفكُّ ذا عبق يروي الجموع إذا ما الماء قد نفذ
فاحبس بفضلك يا رباه كل فتىً على الخسائس والإرجاف قد مردا

شؤون العالم الإسلامي

لماذا قطعت أمريكا مساعداتها عن باكستان ؟

أحمد موفق زيدان

أعلنت الإدارة الأمريكية في الأول من أكتوبر الماضي قطع مساعداتها العسكرية عن باكستان بذريعة تنامي القدرات النووية الباكستانية ، وامتلاك باكستان القنبلة الذرية التي ستهدد - حسب زعم أمريكا - السلام الدولي في المنطقة ! ، كما تذرعت أمريكا بمسألة الانتخابات الباكستانية التي لا بد لها أن تكون بصورة عادلة ونزيهة. وقد تزامن هذا القطع - الذي تصل قيمته سنوياً حوالي ٦٠٠ مليون دولار - مع الحشود الهندية المتنامية على الحدود الباكستانية، واشتداد الوضع في كشمير المحتلة، وقد عوّدت أمريكا باكستان على التخلي عنها في الأوقات الحرجة والعصيبة ، مثل قطع مساعداتها عنها في سبتمبر عام ١٩٦٥ أيام الحرب الهندية الباكستانية ، وفي عام ١٩٧١ أيام انفصال بنغلاديش ، بتواطؤ الثلاثي الهندي الروسي الأمريكي ، كما قطعت مساعداتها عام ١٩٧٨ بعد وصول ضياء الحق للسلطة في يوليو عام ١٩٧٧ ، وتذرعت آنذاك بأن القانون الأمريكي يمنع دعم أي دولة تطيح بنظام ديمقراطي، وتحل محله نظاماً عسكرياً، ما لم يقم الأخير بعقد انتخابات شعبية في فترة أقصاها ستة أشهر من وصوله للسلطة.

ولكن البقاء للمصلحة ، فقد تلاشى هذا القانون الأمريكي عندما فرضت المصلحة الأمريكية استئناف دعمها لباكستان بسبب غزو الاتحاد السوفييتي يوم ١٧ من ديسمبر ١٩٧٩ لأفغانستان ، واستمر هذا الدعم لباكستان على مضض ، واستفادت باكستان من الظروف الدولية هذه في تطوير منشآتها وقدراتها النووية.

ويأتي قطع الدعم الأمريكي متزامناً مع الوضع الاقتصادي المتردي والمتدهور في البلاد ، خاصة وأن البلاد ستخسر من جراء غزو العراق للكويت ما يقارب بليون دولار سنوياً ؛ بسبب عودة العمالة الباكستانية من الكويت ، والبالغة ١٠٠ ألف عامل . وانتهت بذلك مسألة التحويلات، إضافة لارتفاع الحاد في سعر البترول. وكانت باكستان تعد ثالث أكبر دولة في العالم تتلقى مساعدات أمريكية بعد "إسرائيل" ومصر .

تشجيع يهودي :

لعب وما يزال يلعب عضو الكونغرس الأمريكي (ستيفن سولارز) - رئيس الهيئة الفرعية لشؤون آسيا والمحيط الهادي في الكونغرس الأمريكي - دوراً محورياً في تشجيع الإدارة الأمريكية على

قطع مساعداتها عن باكستان. وينحدر ستيفن سولارز من ولاية فرجينيا الأمريكية وهو لا ينسى دور الهنود المنتشرين في هذه الولاية والذين أوصلوه إلى منصب عضو في الكونغرس الأمريكي ، وبهذا لا بد من قربان يقدمه قبل الموعد المقرر للانتخابات الأمريكية القريبة. قدم ستيفن سولارز - الذي يتمتع بصداقة وطيدة مع بي نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان المعزولة منذ أيام دراستها في أمريكا - في ١٩ من سبتمبر المنصرم عريضة يناشد فيها الرئيس الأمريكي بوش بقطع الدعم عن باكستان بسبب محاولاتها المستمرة والدؤوبة في تطوير أسلحتها النووية !

وفي ٨ من أكتوبر قدم ٥٢ عضواً من أعضاء الكونغرس الأمريكي ورقة لجورج بوش يحذرون فيها بقطع المعونات كاملة - عسكرية كانت أو غير عسكرية - عن باكستان ما لم تعقد الانتخابات بشكل نزيه، والآن وبعد أن عقدت الانتخابات ماذا سيكون رأي هؤلاء الأعضاء ؟ ، خاصة وبعد أن أثبت تقرير المراقبين الدوليين المحايد والمشرفين على الانتخابات من ٤٥ دولة أن الانتخابات عُقدت بشكل نزيه وعادل ولم تتعرض للتزوير والتزييف كما ادعت بي نظير بوتو رئيسة الوزراء.

واستهدف قطع الدعم العسكري عن باكستان في هذه الظروف العصيبة إطلاق يد جاراها العملاق المتنامي الهند، وإلا فلماذا يستمر الدعم الأمريكي للهند ولا أحد يسألها عن تفتيش منشآتها النووية؟! كما يتذرع بهذا الرئيس الأمريكي الذي يدّعي أنه لا بد أن يثبت سنوياً في شهادته أمام الكونغرس بأن باكستان لا تملك أسلحة نووية ، وهو أمر صعب نفيه الآن كما يقول ! . ولماذا الكيل بمكيالين أو الوزن بميزانين ؟ فلماذا لا يتم التفتيش على المنشآت النووية الهندية إن كان القصد حقيقة هو السلام المنشود أم أن السلام لا يكون إلا بتسليم الضحية لجزأها دون إبداء أية مقاومة أو دفاع عن النفس؟!

وقد أعرب زاهد (سر فراز) وزير الداخلية الباكستاني في الحكومة الانتقالية الفيدرالية عن استعداد بلاده لفتح المنشآت النووية الباكستانية للتفتيش وتوقيع اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية إن طبق ذلك على الهند. وإلا فكيف يمنعونا من الدفاع عن أنفسنا مقابل قوة كبرى مصغرة وهي الهند وتجاورنا بحدود طويلة؟! كما قال فراز.

وعندما سئلت مارغريت تاتويلر متحدثة الخارجية الأمريكية عن امتلاك باكستان للقنبلة النووية أجابت : "ليس لدينا أدلة على أن باكستان تملك أسلحة نووية" . وجاء بعدها مقال "واشنطن بوست" التحريضي الذي ذكرت فيه أن باكستان سعت لدى دول عدة من أجل شراء مواد تساعد على تصنيع أسلحة نووية ، ولو عاملنا الأمريكيان بما يقولونه فكيف يسمحون لأنفسهم أن يقتنوا قانوناً جديداً وهو أن "كل شخص متهم حتى تثبت براءته" ، أليس هذا يخالف ما اتفق عليه البشر ؟

فإن كانت تاتويلر ليس عندها أدلة على امتلاك باكستان للأسلحة النووية فكيف يبررون قطعهم للدعم بهذه الحجج المصطنعة ؟ .

تواطؤ دولي :

وصف سردار عبد القيوم خان رئيس كشمير الحرة ستيفن سولارز - في مقال له مطول في إحدى الصحف الباكستانية - بأنه ليس حريصاً على الديمقراطية في باكستان ، وأن إظهار تأثير أمريكا على الديمقراطية في باكستان هو محض إذعان للإخراج الهندي لهذه التمثيلية.

وقد تزامن قطع المساعدات الأمريكية عن باكستان مع هجوم شديد من راديو موسكو على التحالف الجمهوري الإسلامي الذي فاز أخيراً بالانتخابات ، وعلى الجيش الباكستاني ؛ لأن الجميع يدرك قوة الجيش الباكستاني وأنه الوحيد الحريص على مصلحة باكستان العليا وقد تباكى الهنود ونظام كابل العميل كثيراً على سقوط بي نظير بوتو عندما أعلنوا أن الديمقراطية في خطر ! .

لماذا وافقوا على بي نظير ؟

المنتبع للإعلام العالمي وأحاديث سياسيه منذ مجيء بوتو وحتى الآن يلحظ أن توافقاً مشبوهاً قد تم وما زال على رفع شخصية بوتو ، فلماذا كل هذه الدعاية الإعلامية والتباكي عليها مع أنها أعلنت منذ مجيئها للسلطة في أواخر عام ١٩٨٨ بأن باكستان لا تملك قنبلة ذرية ولا تسعى للحصول عليها كما أبدت في لقاء لها مع مجلة هندية (إنديا توداي) استعدادها لفتح أبواب المنشآت النووية الباكستانية من أجل تفتيشها ! .

إن بي نظير شخصية طموحة للسلطة وحسب ، وتريد التمسك بكرسي الزعامة ولا يهتمها قوة باكستان وهيمنتها، ومستعدة للتضحية حتى ولو على حساب أهم أسرار الدولة في سبيل البقاء في السلطة، وطالب سردار عبد القيوم خان رئيس كشمير الحرة أخيراً بمحاكمة مسؤولي الاستخبارات العسكرية أيام بي نظير بوتو والذين كانوا من حزبها ؛ لأنهم سربوا أسراراً خطيرة - كما وصفها - للمخابرات الهندية أثرت على مجاهدي كشمير ونشاطاتهم.

ومقابل هذا نشط الجيش الباكستاني في تطوير قدراته الدفاعية ، حيث تسربت معلومات أخيراً عن قيام الخبراء الباكستانيين بتصنيع رؤوس نووية يمكن لطائرات ف١٦ أن تحملها، وقد صنعت باكستان خلال فترة قصيرة عدة صواريخ طويلة المدى ودبابة، وقمرأ صناعياً ، وهذا لا يروق للأمريكان ولا للهنود حيث إن من أهم معالم السياسة الأمريكية هو الاستئثار بالتصنيع الحربي ، والهيمنة العسكرية ، والتقدم النووي.

وهنا نسجل الجهد الذي بذله الرئيس الراحل ضياء الحق مع رفاق دربه الذين قُتلوا معه في حادث تحطم طائرته في ١٨ من أغسطس عام ١٩٨٨ - بالإضافة لقادة الجيش الحاليين - جهدهم الذي بذلوه في هذا الصدد ، وقد وصف وزير المالية الباكستاني الأسبق - أيام ذو الفقار علي بوتو - الدكتور مبشر حسن ويعتبر أحد زعماء حزب الشعب مسألة قطع أمريكا لمساعداتها عن باكستان بأنها نعمة ورحمة على الباكستانيين.

فكيف لا تفضل أمريكا بي نظير على غيرها خاصة بعد أن كشفت الصحافة الباكستانية عن الرسالة التي وجهتها لكابريت عضو الكونغرس الأمريكي وزميلها في الدراسة أيام أمريكا والتي تقول فيها : "إنني سأكون ممتنة جداً إذا تم إيقاف الدعم العسكري والاقتصادي لباكستان (كانت الرسالة قبل وقف المساعدات) كما أكون شاكراً إذا تم إيقاف الدعم عن باكستان من البنك الدولي والوكالات الدولية الأخرى، ويرافق هذا تجميد الودائع الباكستانية حتى عودة الحالة الطبيعية لباكستان ، وعندما كنت رئيسة للوزراء كان التفتيش مستمراً على المفاعل النووي ولكن لا أعرف خطة الحكومة حالياً !" ، ثم تخاطبه بقولها :

"عزيزي ، استعمل نفوذك لدى رئيس الوزراء الهندي سنغ من أجل إشغال الجيش الباكستاني في مناوشات وحرب مع الهند" كما طلبت منه في الرسالة أن يستعمل ستيفن سولارز صلاحياته ونفوذه لدى الرئيس بوش للضغط على إسحق خان والجيش الباكستاني.

وعلى الرغم من نفي بي نظير وكابريت للرسالة إلا أن الظروف الباكستانية والأمريكية وعلاقات بي نظير مع كابريت أو غيره تُبقي مجالاً للقول بصحتها.

موقف الجيش والحكومة :

عبر عدد من قادة الجيش ومسؤولي الحكومة عن امتعاضهم للتصريحات والتصرفات الأمريكية الأخيرة ، وقال الجنرال أسلم بيغ قائد الجيش الباكستاني بأنه لا بد من استلهم الدرس الأفغاني في الاعتماد على الذات مهما كانت التكاليف باهظة ، وأضاف بيغ يقول: "إن باكستان بالتأكيد قررت اليوم ألا تساوم على المبادئ مهما كانت النتائج".

وصرح سر فراز وزير الداخلية الفيدرالي : "إن باكستان ليست الولاية ٥٢ الأمريكية حتى يتصرف بها بوش كما يشاء ، وإنما لسنا محمية أمريكية ولكننا دولة مستقلة" ، وأضاف في مكان آخر : "إذا لم تُعد أمريكا استئناف مساعداتها لباكستان فسنضطر إلى إنهاء العلاقات التقليدية معها ، وإنما واثقون بأن باكستان ستقف على أقدامها بما يتوفر لدينا من مصادر وإمكانيات ولا نستطيع العيش تحت رحمة القوى الكبرى" .

وكان على باكستان أن تدرس بعناية مسألة الانفراج الدولي أو ما يسمى بالتوافق الدولي على مصالح المسلمين ، وانعكاسات البيروسترويكما التي بدأت تظهر بوضوح أنها ضد المسلمين فقط . وهل ستعتمد باكستان على نفسها فعلاً أم أن التصريحات للاستهلاك أو لفترة معينة ثم تعيد أمريكا ضخ مساعداتها ونعيد علاقاتنا معهم من جديد ؟ ، فهل عداوتنا معهم مرتبطة بمصلحة آنية من دعم عسكري أو اقتصادي أم أن الأمر أبعد من هذا ؟!

ولو تبرع كل باكستاني بروبية واحدة يومياً ولمدة ستة أيام لجمعت باكستان أكثر من المبلغ الذي تدعمها به أمريكا وهو ٦٠٠ مليون دولار ولانتهت بذلك الهيمنة الأمريكية علينا نحن المسلمين ؛ فمتى سندرك ذلك ؟!

دروس من انتخابات الجزائر

عبد المنعم جمال الدين

تعددت ردود الفعل تجاه نتائج الانتخابات البلدية التي أُجريت في الجزائر والتي فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأكثر من ٥٥ % من الأصوات بينما لم يحز حزب "جبهة التحرير" الحاكم منذ ثمانية وعشرين عاماً - إلا على ٢٢% تقريباً من الأصوات. ويمكن تلخيص ردود الأفعال هذه في كلمتين : قلق وفرح، قلق من أعداء الإسلام، وفرح من المسلمين.

وقد أرجع القلق شعورهم إزاء فوز الإسلاميين لأسباب تعددت بتعدد مصادرها ، فعامة الغرب يخشون من تهديد الإسلاميين لمصالحهم في الجزائر كما يخشون من علو المد الإسلامي -

تأثراً بالجزائر - في سائر المنطقة العربية مما يهدد مصالحهم - حسب ظنهم - فيها . (١)
أما رجال الأعمال الغربيون فقد عبروا عن قلقهم لما يعنيه هذا الفوز من مخاطر - لم يحدوها - على استثماراتهم التي كانوا يزمعون توجيهها إلى الجزائر ، فضلاً عن قلقهم على القروض

المستحقة على الجزائر. (٢)

وبعد ذلك تأتي المخاوف الداخلية والتي تعد امتداداً للتفكير الغربي حيث عبر عنها محليون - التابعون للغرب فكراً - نيابة عنه ، ويمكن تلخيص هذه النوعية من المخاوف في ثلاث نقاط هي :

١- أن الإسلاميين يمثلون العصور الوسطى المتخلفة بظلام جهالتها . (٣)

٢- أن الإسلاميين سيهددون الحريات وحقوق الإنسان. (٤)

٣- أن الإسلاميين سيهددون حقوق المرأة. (٥)

وهذه المخاوف المتعددة لا تمثل نشازاً في موقف الغرب - وأتباعه المحليين - من الحركة الإسلامية فهي متسقة تماماً مع مواقفهم عبر تاريخنا الحديث والمعاصر ، كما أن رد الإسلاميين على هذه المخاوف لم يشذ هذه المرة ، بل ظل متناغماً مع مواقفه السابقة ، إذ ظل الإسلاميون - طوال تاريخهم الحديث والمعاصر - فريقين إزاء هذه الاتهامات : الفريق الأول : لا يبالي ولا يرد، وأكثرهم من الملتزمين بأصول أهل السنة والجماعة اعتقاداً واستدلالاً .

الفريق الثاني : يحاول أن يرد، فيتخبط في رده، فتارة يأتي خطابه مبهماً لا يفي بالغرض ولا يكفي إلا لتثقيف الأتباع، وتارة أخرى يأتي منحلاً من الالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح حسب أصول أهل السنة والجماعة.

ولتطور الحركة الإسلامية نحو الأفضل لابد من تطوير موقف فريقَي الحركة الإسلامية. فيتعين على الفريق الأول أن يعي طبيعة العصر ومطالبه وتحدياته فيعي الواقع بكل جزئياته جيداً ، وبتمثل الشرع الحنيف بأفق متسع فيُنزل أحكامه الحكيمة وتشريعاته الرحيمة على الأحداث المتجددة دون تشدد غالٍ ، أو ترخص جافٍ .

ويتحتم على الفريق الثاني أن يزيد من وعيه بالواقع ومتطلباته مع التركيز الخاص على دراسة أصول أهل السنة والجماعة دراسة عميقة في مجال الاعتقاد وأصول وقواعد الاستدلال والاستنباط ، وذلك حتى يتسنى لهم الانضباط بالشرع أثناء استجاباتهم لتحديات العصر . ثم يجب على الفريقين - حينئذ - أن يترفعا عن أن تكون حركاتهم مجرد ردود أفعال ، حيث الفعل من نصيب أعدائهم ورد الفعل من نصيبهم ، وذلك الترفع لا يعني عدم التجاوب مع الأحداث بل يعني صنع هذه الأحداث والتحكم فيها ، ولن يتم ذلك إلا إذا أخذوا بزمام المبادرة بأن يضعوا تصوراً متكاملاً لأهدافهم النهائية والمرحلية، ويحددوا لكل منهما وسائل عبر خطط مفصلة ذات برامج زمنية قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى .

حينئذ تكون الأفعال المختلفة بناءً على دراسات شرعية وواقعية ، بحيث تدفع أعداءها إلى ردود الأفعال النافعة لأهداف الحركة الإسلامية.

ويدخل في نطاق هذه الدراسات الإسلامية حول مجالات الحياة الدنيوية النظرية من مثل ضوابط المعرفة، وحدود العقل ومجالاته ، وعلاقة الإنسان بعالم الأسباب، والعلل الكونية ومعلولاتها، ثم تنتقل هذه الدراسات إلى مجالات يبتعد أثرها قليلاً عن المجال النظري من مثل حقوق الإنسان وواجباته، ويدخل في هذا الموضوع موضوع حقوق المرأة وواجباتها باعتبارها إنساناً، ويدخل في هذا المجال - المجال الأقرب للواقع العملي - دراسة الواقع الدولي وكيفية التعامل معه، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الإسلامية.

إن إتمام دراسة هذه المسائل وأمثالها دراسة شرعية وواقعية من المنظور المذكور أنفاً يؤدي إلى منافع جليلة جداً نلخص أهمها فيما يأتي :

- ١- تنظيم عقلية المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة بأسلوب علمي إسلامي يمكّنهم من القيام بأدوارهم على أكمل وجه ديناً ودنياً، مما يعود بالنفع على قضية الإسلام في المجال التطبيقي العملي عندما تسنح الفرص لذلك.
 - ٢- هذه الدراسات ستمثل الزاد الرئيسي - إن لم يكن الوحيد - لإتمام وعي المسلمين عامة والدعاة خاصة بحقيقة الإسلام المراد تطبيقه مما يحول دون الالتفاف حول إرادتهم واستغلال آمالهم من قبل بعض دجاجلة السياسة ومغامريها لتحقيق شهواتهم السلطوية.
 - ٣- هذه الدراسات ستلعب دوراً رئيسياً وفعالاً في تربية الجيل المسلم الجدير بتأييد الله - عز وجل - لأن التصورات الإسلامية في مجال المعاملات تعتمد على أحداث الواقع ، وتتجدد الاستنباطات المتعلقة بها بتجدد جوانبها الواقعية، مما يعني أن جمودنا واعتمادنا على ما كُتب في عصور سالفة في بعض مسائل هذا المجال - هو من قبيل الخطأ العلمي (٨) ، كما أن بعض المسائل المتعلقة بالواقع - واقع الإنسان أو واقع الأشياء - في العبادات لا سيما القلبية منها تحتاج إلى تجديد فهمنا لها عبر النصوص الشرعية الملزمة مباشرة من منظور واقعنا الذي نعيشه يومياً لإحداث التكيف الشرعي اللازم في حياتنا حتى يمكننا الاستفادة منها إلى أقصى حد لتحقيق هدفها وهو تزكية النفس ، ثم برضاء الله (عز وجل) .
 - ٤- ستؤدي هذه الدراسات إلى زيادة إيمان عامة المسلمين لتقديمها للنموذج المرجو من الحياة الإسلامية المعاصرة ، مما يدفعهم لمعرفة حقيقة الإسلام وحقيقة الجاهلية المعاصرة ؛ فيتميز الحق عن الباطل ، ويزيد إيمانهم بالحق وهجرهم للباطل.
 - ٥- سيؤدي عرض هذه الدراسات لتصورات الإسلام للحياة الدنيا إلى دفع المنصفين من غير المسلمين إلى البحث في الإسلام والتعرف عليه ، ثم الإيمان به ، كما سيدفع بعض أعضاء معسكرات المحاربة إلى معسكرات الحياد على الأقل، وسيخفف من حدة عداوة بعض الأعداء ، وكل مكسب من هذه المكاسب لا يستهان به.
 - ٦- إن هذه التصورات هي حجر الزاوية ، بل هي الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه أي بناء إسلامي مجتمعي وسياسي قادم ؛ لأن مشكلة الأمة الإسلامية لا تكمن في غياب السيطرة السياسية للمسلمين بقدر ما هي أزمة التزام بالشرع ثم أزمة حضارية ، فلا بد من إصلاح كلا الجانبين بقدر غير يسير قبل قيام صرح المجتمع والدولة الإسلاميين.
- وأخيراً ... فإن كل نقطة من هذه النقاط جديرة بأن تفرد بالدراسة، فلعل الله يوفقنا إلى ذلك في مناسبة أخرى ونكتفي هنا بالإجمال خشية الإطالة ولكننا نختم مقالنا هذا بالتأكيد على الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة كعقيدة وأصول استنباط واستدلال وبحث مع إدراك حقيقة الواقع وتحدياته حتى نتجنب المزالق الحالية التي هي مظنة الوقوع فيها من قبل الكثيرين.

الهوامش :

- (١) ، (٢) تقرير لرويتير عن انتخابات الجزائر يوم ١٢/٦/١٩٩٠ ، ١٧/٦/٩٠ .
- (٣) حديث لأحدهم طيّرته رويتير يوم ١٢/٦/١٩٩٠ ، وبيان جبهة التحرير الوطني أذاعته إذاعة لندن العربية يوم ١٨/٦/١٩٩٠ .
- (٤) من "رويتير" تقرير يوم ٦/١٢ .
- (٥) نفس المصدر السابق وتصريح لمسؤولة جزائرية نشر أو أذيع وقتها.
- (٦) ورد ذلك في حديث مع رويتير طيّرته يوم ١٢/٦/١٩٩٠ .

(٧) رويتر ١٤/٦/١٩٩٠.

(٨) يلاحظ مثلاً في بعض المسائل السياسية ، من مثل حقوق الحاكم ، وواجباته ، وكيفية تنصيبه ، والضوابط والكوابح التي ينبغي أن تمارس عليه من قبل رعاياه . فما زال كتاب الحركة الإسلامية ينقلون فتاوى علماء السلف المتعلقة بواقع مختلف - والفتوى تتغير بتغير الواقع - ولا نجد محاولة إيجابية جيدة لاستنباط الأشكال الملائمة لواقعنا وفقاً لأصول أهل السنة والجماعة ، ولا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن العدد الأكبر من الفتاوى في المسائل المذكورة آنفاً كان من قبيل التقنين الشرعي وأحياناً التبرير للواقع المفروض قسراً ترجيحاً لمصالح ودرءاً لمفاسد رأها علماء ذلك العصر .

ماذا بعد كل موقعة الخليج ؟!

محمد محمد بدري

" تعودنا من أعدائنا تواضعاً لا حاجة لنا إلى شرح دوافعه الخبيثة ، فتراهم لا يضعون توقيعهم على ما يصنعون ، فهم يهيئون كل ما يقرب الوضع رأساً على عقب ، يضعون القنبلة ثم ينسحبون بكل تواضع ، تاركين لسواهم مهمة تفجيرها أمام العدسات الكبيرة وأجهزة الإعلام والإذاعة !! فأعداؤنا يوظفون دائماً مَنْ يضع توقيعهم على أعمالهم". (١)

أولاً : حتى لا نخدع :

لا بد أن نفكر في "الغد" بنفس الدرجة التي نفكر بها في "اليوم" هذه حقيقة . لكننا لا بد أن نعلم أن هذا وذاك من كلا التفكيرين - لن يكون مؤدياً إلى الوعي الإسلامي الذي لا يُخدع إلا إذا كانت معطيات "الأمس" كلها أمام أنظارنا .. فمعطيات "الأمس" هي المقدمات لحقائق اليوم، وهذه الحقائق هي جذور المستقبل، ومن معطيات الأمس:

دور النخبة العسكرية :

كان من ثمرة اليأس من هذا الدين أن عدل اليهود أعداء الإسلام - عن مواجهته جبهة إلى طرائق أخبت، وإلى حبال أمكر .. لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع في المنطقة كلها تنزياً بزي الإسلام، وتتمسح في العقيدة، ولا تنكر الدين جملة، ثم هي تحت هذا الستار الخادع - تنفذ جميع المشروعات التي أشارت بها مؤتمرات التبشير وبروتوكولات صهيون، ثم عجزت عن تنفيذها كلها في المدى الطويل (٢) .

وهكذا ظهر في "اللعبة السياسية" عنصر جديد في حرب الإسلام هو "الانقلابات العسكرية" عن طريق شردمة من العسكريين الذين أشربوا في قلوبهم ثقافة الغرب وتربوا على يديه ونشأوا في كنفه ورعايته!!

يقوم هؤلاء "بثورة" لتخليص شعوبهم من الظلم إلى العدل ومن الاحتلال إلى الاستقلال - بزعمهم - فتتحقق معادلة الأعداء الشيطانية باستقلال سياسي شكلي وتغييرات اجتماعية محدودة مع تركيز السلطة في يد فرد مستبد لتكون النتيجة حكماً عسكرياً يقوم بتصفية الحركة الإسلامية . وقد قام الأعداء بصنع الكثيرين من زعماء النخبة ، وكلما نفق منهم فرد دفعوا بالآخر إلى مسرح الأحداث.

وقام أفراد "النخبة العسكرية" يثيرون في شعوبهم النعرة القومية، ويتحدون الغرب في الظاهر !! ثم تحت هذا الستار الخداع ينفذون لأعداء الإسلام كل مخططاتهم . وفي الجانب الآخر قام هؤلاء "العملاء" بتخريب اقتصاديات بلادهم وأبقوا عليها في حالة فقر وتخلف وبالتالي تبعية للذين كانوا يستعمرونها !. ثم خرج زعماء النخبة العسكرية على شعوبهم بمقولات مفادها "الرضا بالأمر الواقع" و"التعايش مع الغرب"!! ويا لها من خدعة خبيثة مجملها "إثارة النعرات القومية وتخريب الاقتصاد ثم الوصول إلى الأمر الواقع ثم طلب التعايش مع الذين رفضتهم الشعوب وطلبت الاستقلال عنهم في فترة من الفترات" .

وهكذا يعيد زعماء "النخبة العسكرية" البلاد الإسلامية هدية متواضعة لأسيادهم في الغرب ، أولئك الأسياد الذين يدين الانقلابيون - زعماء النخبة العسكرية - بالعبودية لهم . (٣)

الحروب المصطنعة :

"إمعاناً في الخداع والتضليل، وإمعاناً من الصهيونية العالمية والصليبية العالمية في التخفي، فإنها تثير حروباً مصطنعة باردة أو ساخنة، وعداوات مصطنعة في شتى الصور، بينها وبين هذه الأنظمة والأوضاع التي أقامتها والتي تكفلها بالمساعدات المادية والأدبية، وتحرسها بالقوى الظاهرة والخفية، وتجعل أفلام مخابراتها في خدمتها وحراستها المباشرة ! تثير هذه الحروب المصطنعة والعداوات المصطنعة، لتزيد من عمق الخدعة، وتبعد الشبهة عن العملاء ، الذين يقومون لها بما عجزت هي عن إتمامه في خلال ثلاثة قرون أو تزيد". (٤)

وقائع ودروس وعبر الماضي تكشف لنا وجه الحقيقة وتعطينا "المناعة السياسية إذا صح التعبير ضد الخداع والتضليل .

"ففي عام ١٩٥٦ م قام وزير الخارجية الأمريكي دالاس بسحب عرض بناء السد العالي مما دفع النظام الناصري إلى تأميم القناة ، وعلى أثرها قام الاستعمار الإنجليزي والفرنسي واليهودي بالاعتداء على مصر" .

ثم ماذا ؟ ثم تضغط أمريكا على إنجلترا وفرنسا و"إسرائيل" وتطالبهم بالانسحاب على هيئة قرار من الأمم المتحدة (متى كانت قرارات الأمم المتحدة تُحترم؟! .. وتنسحب تلك الدول مع ضجة إعلامية ضخمة تعزو الانتصار إلى ذكاء القيادة السياسية ، وتجمّل وجه أمريكا التي تعمل لصالح الأمم والشعوب الصغيرة!! ثم ماذا؟ ثم بما أن النظام الناصري قد انتصر فإنه يمكنه ممارسة القمع بلا حدود.. فيضرب أساس الفكر الإسلامي ، ويحاول استئصال كل أثر للإسلام في حياة الناس ، ومطاردة كل مسلم حتى كان الناس يخافون أن يذهبوا إلى الصلاة.

ومن بعد عبد الناصر جاء السادات وكانت حرب ١٩٧٣م وما إن بدأت الحرب حتى بدأت القيادة السياسية في تكبيل رجال القوات المسلحة ، ثم تم اختراق تلك القوات من قبل العدو والدخول للضفة الغربية للقناة ، وكان مما يدعو إلى العجب وقتها عدم ضرب ما يسمى "بالثغرة" !! .. ولكن وسط الضجة الإعلامية المضللة ظهر السادات في صورة "البطل" الذي هزم "إسرائيل" ولكنه لم يستطع هزيمة أمريكا!! وأنه في سبيل إنقاذ الجيش الثالث سيقبل التسوية مما يعني الاعتراف بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها!! وكان هذا هو بداية "تحريك القضية" و"تمرير" التسوية والذي استهدفته الإدارة الأمريكية من هذا النصر التكتيكي.(٥)

فكان توقيع اتفاق كامب ديفيد وكان من الطبيعي جداً أن تضرب الحركة الإسلامية بلا هوادة لأنها هي المعوق الرئيسي أمام الاتفاقية والتطبيع ، فكان ما كان من أحداث دامية واعتقالات واسعة للمسلمين !

وهكذا "فعبور القناة مثل بالنسبة للسادات ما مثله التأميم بالنسبة لعبد الناصر : إنجاز ذو أهمية قصوى ، يمنح النظام الشرعية المطلقة. وفي كلتا الحالتين فإن هذه الشرعية كانت تستخدم بالتالي لإخماد صوت المسلمين أو محاولة إخماده" (٦) وتتوالى الحرب المصطنعة من أعداء الإسلام لحلفائهم الذين يؤدون أدوارهم من داخل الحدود ويسحقون لهم الحق وأهله.

حقيقة المعركة :

من يدقق الطرف ويجيل النظر في تاريخ الاستعمار الحديث لبلادنا يعلم أن هدف المستعمرين محاربة الإسلام وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية .

ويسرف في الخطأ من يعتقد أن عداوة اليهود وسائر أعداء الإسلام لنا ، وحروبهم ضدنا ستتوقف إذا وجدت الأمم المتحدة حلاً لقضية فلسطين أو لبنان أو أريتريا أو غيرها.

يسرف في الخطأ من يعتقد ذلك ؛ لأنه يكون قد جهل أو تجاهل حقيقة أزية أخبرنا بها رب العزة في محكم كتابه الكريم ؛ حيث يقول - عز وجل - : ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)) [البقرة: ٢١٧] ؛ فسيفاتلنا اليهود والنصارى والشيوخ والشيوخ والمجوس وكل ملل الكفر ، سيفاتلنا هؤلاء جميعاً مادامنا مسلمين. (٧)

وليعد من شاء إلى قول سعد جمعة - في كتابه "أبناء الأفاعي" - أنه سمع بأذنيه تسجيلاً حياً لهُتاف الجماهير اليهودية حينما وصلت إلى "حائط المبكى" بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧ وهي تصيح بهوس وجنون : "محمد مات وخلف البنات - اليوم انتهى محمد ، اليوم قُضي على الإسلام !" (٨) ، فحقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي معركة العقيدة ، ولكن معسكر الكفر يلونها بألوان شتى ، ويرفع عليها أعلاماً شتى ، في خبث ومكر وتورية . فهذا علم الاقتصاد ، وذاك علم السياسة ، والمراكز العسكرية ، وغيرها .

بينما معركة الأعداء معنا هي أولاً - وقبل كل شيء - لتحطيم تلك الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعاً .. صخرة العقيدة . (٩)

"والعالم الحر - المزعوم - هو الصليبية في حقيقة الأمر ، وزعامة الصليبية تقع دائماً في يد الدولة الأقوى في العالم الصليبي ، فحين كانت هي بريطانيا كانت زعامة الصليبية في يدها ، ولما صارت هي أمريكا انتقلت الزعامة إليها بحكم الأمر الواقع" . (١٠)

ولكن حقيقة المعركة هي معركة العقيدة ، وحقيقة المؤامرة هي مؤامرة على العقيدة ، وهي تتم يوماً بعد يوم ؛ فعلياً أن لا نلبس ثوب الغفلة تجاه هذه المعركة وتلك المؤامرة ، حتى لا نُقاد كما نُقاد الأنعام.

ثانياً : نظرة إلى الواقع :

إن أوروبا وأمريكا - أو بمعنى أدق "الغرب الصليبي" - لا يزال على صليبيته.. بل لقد ازدادت حدة هذه الصليبية في السنوات الأخيرة مع ظهور الصحوة الإسلامية التي يعتبرها الغرب الخطر المستقبلي عليه ، ويدل على ذلك حرص الغرب على التواجد في المنطقة ؛ يرصد تلك الصحوة عن كثب ويحاصرها.. بل ويتعاون مع الشرق في ذلك فتكون الصحوة الإسلامية هي إحدى قضايا قمة هلسنكي !!

ويدل على صليبية الغرب أيضاً ما يثار هذه الأيام في الإعلام الغربي حول أحداث الخليج واعتبارها "موقعة" مع الإسلام ، وحديثهم عنها ليس فقط "كهدف" من أهدافهم بل "الهدف" .. و"نقطة الهدف" مع المسلمين. ونراهم يتحدثون من الآن عما يكون بعد "موقعة الخليج" من تركيب جديد لمنطقة يسمح لأمريكا أن تقوم بدور أكبر من الماضي كما صرح "بيكر" وزير الخارجية الأمريكي . وما هو أصرح من ذلك ما قاله "تشيبي" وزير الدفاع : "إنني أعتقد أننا نكتب فصلاً جديداً في تاريخ القرن العشرين واستراتيجية جديدة وعلامات جديدة نتيجة ما يستهدف العالم من تطورات وعدم استقرار" !!

كل ذلك وغيره كثير يؤكد من جديد أن الوفاق بين الشرق والغرب إنما هو "الوفاق ضد الإسلام" وأن معركتهم ضد الإسلام هي "حقيقة المعركة" .

إن تدمير قوة "الأمة" وارجاعها إلى الوراثة ولتنتهي حيث بدأت هو هدف من أهداف أعداء الإسلام ، وقوة العراق كشعب مسلم أمر يخشاه هؤلاء الأعداء ؛ ليس لأن صدام لا يسير في ركابهم - فهذا أمر لا شك فيه - ولكن لأن هذه القوة قد تصير يوماً لمن لا يسير في ركابهم !! ولذلك فهم حريصون على تدميرها ويخططون لذلك من وقت بعيد فقد جاء في مقال نشر في صحيفة "كيفونيم" اليهودية - بتاريخ ١٤ من فبراير عام ١٩٨٢م : "وأما العراق فهو غني بالبتروول ، وفريسة لصراعات داخلية ، وسيكون تفككه أهم بالنسبة لنا من تحلل سورية؛ لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل.

وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا" !! (١١)

وهذا يجعلنا نتساءل هل يكون غزو الكويت هو تنفيذاً جزئياً لمخطط خارجي وهل تمتد المؤامرة إلى تقسيم وتمزيق العراق جغرافياً؟!؛ لتدخل المنطقة مرحلة الدويلات الصغيرة؟! وفي ظل هذا الفهم .. هل يمكن اعتبار التصريحات القوية هي لون من ألوان "الحروب المصطنعة" التي تبعد الشبهة عن العملاء؟!؛

وأخيراً .. فإن القوات الأمريكية التي جاءت باسم الحفاظ على الشرعية الدولية والقانون الدولي.. كان تدخلها سريعاً بل فائق السرعة وشديد الكثافة والتطور والقوة التدميرية وهو أمر قد يراد منه بث الرعب في نفوس المسلمين وإشعارهم "بالهزيمة الداخلية" والضعف عن مواجهة الغرب ومدافعتة ، وهو هدف بحد ذاته لأنه من يهزمه عدوه من داخله فإنه لا يبقى أمامه إلا أن يصفى الساحة من فلول عاجزة دون جهد أو تعب..

أمتنا اليوم :

من الواجب على المسلم أن يرى الحياة من خلال واقعه وليس من خلال أمانيه ، ولذلك فإنه من العيب أن نستغرق الوقت ونبذل الجهد في محاولة تجميل وتزيين لصورة واقعنا الذي نعيشه .. فواقع أمتنا اليوم لم يحدث من قبل ، "لقد أحاط بنا عدونا وأرهقنا وأوصلنا إلى مرحلة الشتات والفرقة والهزيمة النفسية والاحباط .. بل والوهن والاستكانة وفقدان الانتماء للأمة وانعزال كل فرد في داخل نفسه وفي همه الفردي" ، ودخلت الأمة مرحلة "القصة" وتداعت عليها الأمم ، وأصابها النذير الذي حذرنا منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ولسنا نريد أن نساهم في صور اليأس والإحباط التي بلغت مداها في أمتنا اليوم ، ولكننا نريد أن نوكد أن واقعنا اليوم لا يخرج في حقيقته عن أن يكون نتيجة طبيعية للمقدمات التي صغناها بأيدينا ، فنعرف حقيقة التحدي الذي يواجهنا ونجمع طاقاتنا النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد.

ثالثاً : ماذا بعد موقعة الخليج ؟!

بعد ما ذكرناه من حقائق ، وما كشفناه من مؤامرات ، يواجهنا التساؤل الذي لا مفر منه والذي نعتقد أنه قفز ولا شك إلى ذهن القارئ ، ما الذي يجب أن نفعله ؟! كيف نواجه المؤامرة والمتمارين ، ونقطع دابر الغزاة المفسدين ؟! كيف ننقل بأمتنا من التبعية إلى الريادة ؟ ومن الاستضعاف إلى التمكين ؟ ومن الفرقة والضعف إلى الائتلاف والقوة ؟!

"أظلمكم وأظلم نفسي إذا زعمت أنني وحدي قادر على تحديد الجواب الكافي وتعيين الحل الشافي. أظلمكم وأظلم نفسي لأن القضية ليست قضيتي وحدي ، وإنما هي قضية كل كاتب ومفكر وداعية ينتمي لأهل السنة والجماعة". بل هي قضية كل مسلم من هذه الأمة، فالمسئولية عن الإسلام والمسلمين هي مسئولية كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله على تفاوت في الدرجات بتفاوت الاستعدادات، والقدرات، والمواقع، والظروف". "فليشارك هؤلاء جميعاً في وضع الحلول الناجعة لأخطر مشكلة من مشكلات المسلمين في هذا العصر". (١٢)

وإذا كنت عاجزاً عن وضع الحلول لهذه المشكلة فلا أقل من توجيه نصيحة لإخواني المسلمين ، لعلها تكون جزءاً من إطار هذا الحل.

إحياء الأمة :

لا بد من الطريق الطويل الشاق البطيء الثمرة "إحياء الأمة" التي تسند حكم الإسلام حين تقوم وتظل تسنده لكي يستمر في الوجود بعد أن تقوم . ويتم إحياء الأمة بدعوة التوحيد الواضحة على ما كان عليه القرون الثلاثة الأولى قبل تشعب الأهواء واختلاط العقائد .

وذلك عبر مراحل :

- (الانتصار للتوحيد) بتصحيح مفهوم العقيدة ، وتخليصها مما شابها.
- (ملء الفراغ الديني) بدعوة الناس إلى أن يقيموا حياتهم على قاعدة الإسلام.
- (إحياء التوجه الإسلامي) بالانطلاق بهذا المفهوم انطلاقاً جاداً يتربى خلاله الأفراد على الأخلاق الإسلامية ، وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التي كانت في طريقه ولا تزال تتزايد بشدة من معسكرات الأعداء.
- فلا بد من (صفوة) تحمل الحق .. و"أمة" تحمي هذا الحق . "أمة" قامت على مرتكزات عقائدية ثابتة ؛ فصار لها ولاء ثابت ، وهوية ثابتة ، وشخصية ثابتة ، وتوجه ثابت.
- وهذه "الأمة" بتلك المواصفات هي التي تغلق - بعون الله - الطريق على عودة الانقلابيين من زعماء النخبة العسكرية في المستقبل ، وبالتالي تخرج من التبعية للغرب . بل وتقتل طموح الغرب في هزيمة المسلمين.

وهكذا نحن ننطلق من واقع ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)) [البقرة: ٢١٧]؛ لنصل إلى مستقبل ((الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ)) [المائدة: ٣] وذلك بحول الله وتوفيقه ثم بعملا على "إحياء الأمة". (١٣)

الصف المرصوص :

"من أبرز مشكلات العمل الإسلامي تفرق الجماعات العاملة في الساحة الإسلامية وتمزقها، وقيام بعضها بحرب بعض" (١٤) ، وبينما أمرنا خالقنا أن لا نختلف كما اختلف اليهود والنصارى ؛ فقال - عز وجل - : ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [آل عمران: ١٠٥] . بينما أمرنا بذلك يمثل واقعنا اليوم عجزنا عن تحقيق وحدة بين المسلمين كتلك الوحدة أو التعاون الذي حققه اليهود أو النصارى فيما بينهم .. وهذه هي الطامة الكبرى والبلية العظمى ؛ فتعدد الاتجاهات إذا تحولت الى حزبية ، وأهواء شخصية ، ومنافع دنيوية خطر عظيم إذا كان المنتسبون إلى هذه الأحزاب من أهل السنة والجماعة !"

"ولعل ما نعيشه من محنة تكون فرصة للعاملين في الحقل الإسلامي ليقفوا التراشق فما بينهم وليعيدوا النظر في مهمتهم، ويدركوا أنهم يحملون أشرف دعوة ويعملون لأنبيل غاية، فيوطنوا أنفسهم، ويعاهدوا الله أن يكونوا بمستوى إسلامهم وعصرهم فيتخلص العمل للإسلام من التمحور حول النفس والطواف حول الذات" . (١٥)

ويدرك الجميع أنه لكي تظهر "الأمة" لا بد من ترك الولاء الحزبي الضيق للجماعات المتفرقة، ولكي تظهر "التضحية" لا بد من التخلي عن المكاسب الدنيوية .. فيتكون لدينا صف مرصوص يؤمن أن الأصل في حياة المسلمين هو الإسلام ، وكل حركة من الحركات أو جماعة من الجماعات هي وسيلة لخدمته ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن نضع الوسيلة في مستوى الغاية أو نعطيها مكانها ، ونحلبها محلها .

إعداد العدة :

هناك حقيقة أولية لا بد أن نتيقننها ونحن نتحرك بالإسلام ، وهي أن ما نسعى إليه من أهداف إنما يتحقق بجهودنا وفي حدود طاقاتنا الواقعية .

فنحن مأمورون أن نتعامل مع سنة الله الجارية وإن كنا لا نكف عن التطلع إلى رحمة الله في كل لحظة .. تلك السنة التي يقول عنها ربنا - في كتابه العزيز - ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)) [الأنفال: ٦٠] ، وقال جل وعلا : ((هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)) [الأنفال: ٦٢] . وإعداد العدة يشمل جوانب كثيرة، علمية وتربوية واقتصادية، وعسكرية .. وغيرها .

فلا بد من إعداد كل فرد في الأمة - إن استطعنا - إعداداً عقائدياً ونفسياً وتربوياً بحيث يراعي هذا الإعداد فرز "أولي الألباب" لميادين القيادة وتوظيف الطاقات تبعاً لقدراتها العقلية واتجاهاتها النفسية واستعداداتها العملية بعيداً عن مؤثرات العلاقات والروابط الشخصية ومقاييس العصبية والإقليمية والطبقية .

وفي إطار عمل عام يركز على العمل الجماعي وروح الفريق بدلاً من المبادرات الفردية، ثم تجسيد هذا العمل الجماعي في صورة مؤسسات متخصصة، فيكون لدينا مجموعتان : مجموعة فكرية ومجموعة تطبيقية .

فأما المجموعة الفكرية فمهمتها ابتكار الاستراتيجيات اللازمة في جميع ميادين العمل وتطوير هذه الاستراتيجيات حسب متطلبات الزمان والمكان .

وأما المجموعة التطبيقية فتكون مهمتها تنفيذ الجزء المتعلق بميدانها من الاستراتيجيات التي أفرزتها المجموعة الفكرية .

ولا نود في هذا المكان الاسترسال في تفاصيل هذا الأمر فله موضعه، ولكننا نريد أن نقول إنه ما لم يتزواج الإخلاص مع الاستراتيجية الصائبة في تعبئة القوى البشرية في الأمة، وإعداد العدة التي

أمرنا الله فإن مستقبلنا لن يحمل لنا إلا الكوارث المتلاحقة التي يرتكبها الطغاة الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

حذار من اليأس :

إلى كل المسلمين الذين توارقهم حال الأمة، وتقض مضاجعهم، أقول: إن الطريق إلى الخروج من أزمتنا سهل وميسور حين نقوم بإحياء الأمة وتوحيد الصفوف وإعداد العدة والسير في طريق التغيير.

ومع ما نعيشه من واقع أليم "فنحن على يقين بأن الشدائد والمحن تصنع الرجال ، وتبصر الأمة بأعدائها الحقيقيين، وأن اشتداد التحدي يصقل الرجال، ويقيم الحضارات، ويقضي على الخلايا الشائخة الأمة".

"وقد مر على المسلمين في تاريخهم أوضاع لا تقل سوءاً عن أوضاعنا المعاصرة.. وعندما قيض الله لهم من يقودهم تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويقضي على الخونة تحولت هزيمة المسلمين إلى نصر وانحسارهم إلى مد".

"فالأمل في الله أكبر، والثقة في هذا الدين أعمق وهم يمكرون والله خير الماكرين".

الهوامش :

- ١- بين الرشاد والتهيه ، مالك بن نبي ، ١٠١ .
- ٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ١٠٢٢،/٢
- ٣- راجع كتاب "لعبة الأمم" وكتاب "العالم العربي اليوم" لمايلز كوبلاند ومورو برجر.
- ٤- في ظلال القرآن، سيد قطب ١٠٢٢/٢ .
- ٥- انظر مذكرات كيسنجر (بتصرف).
- ٦- النبي والفرعون، جيلز كيبل، ١٢٩٧
- ٧- رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي، ٥٠٥،
- ٨- المصدر السابق، ٥٠٤
- ٩- في ظلال القرآن، سيد قطب ، ١٠٨/١ .
- ١٠- واقعنا المعاصر، محمد قطب ، ٢٩٢،
- ١١- ملف إسرائيل - روجيه غارودي ، ١٦٤،
- ١٢- الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي .
- ١٣- حد الإسلام وحقيقة الإيمان، عبد المجيد الشاذلي .
- ١٤- واقعنا المعاصر، محمد قطب ، ٥٢٥،
- ١٥- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنة ، ١٧١.

القوى العظمى تعد لحرب في الشرق الأوسط كحل للمسألة العربية

بقلم : (Josef Brewda)

مجلة (Eir Feature)

بتاريخ ٢٠ من يوليو عام ١٩٩٠م

"هذا المقال الذي ننشر ترجمة لبعض فقراته كُتب في مجلة أمريكية قبل أحداث الخليج ، وفيه إشارات مهمة لبعض الأحداث التي يتوقعها الكاتب ، وقد لا نوافق في بعض توقعاته وبعض تحليلاته ، ولكننا ننشر المقال لما فيه من النذر بالأخطار التي تهدد الأمة وخاصة من دولة يهود . وبعض نذرها قد هُيئت وندعو الله أن لا يتم ذلك، بل نقول : إن شاء الله لن يتم ذلك؛ لأن مقادير الأمم والدول ليست بيد هؤلاء كيف يشاؤون، فقد يخططون لشيء ولكن الرياح تجري بما لا يشتهونه" . (التحرير) تخطط الحكومات البريطانية والأمريكية والسوفياتية لقيام حرب عربية - إسرائيلية جديدة في الشرق الأوسط ، وذلك بهدف فرض ورعاية قيام تحالف عسكري سياسي بين "إسرائيل" وسورية حتى يصبح أمراً واقعاً وقوة لا تُبَارَى في المنطقة ، ولعل القناعة السائدة التي تدور في أذهان الساسة الأنجلو أمريكيين والسوفيات أن الحرب هي أفضل السبل لبناء مثل ذلك التحالف وتأسيسه كقوة إقليمية تهيمن على المنطقة ، وبالرغم من الإشارات والدلالات المغايرة فإن السياسات الأنجلو أمريكية والسوفياتية ظلت تستهدف - ولفترة طويلة - قيام دولتي "إسرائيل" الكبرى وسورية الكبرى وتهيئتهما لتصيرا قوة إقليمية كبرى في منطقة الشرق الأوسط.

إن قيام حرب شرق أوسطية على طاولة الأحداث لأمر يشير إليه تكوين مجلس الوزراء الإسرائيلي الأخير الذي ألفه رئيس الوزراء الإسرائيلي وزعيم الليكود إسحق شامير في الحادي عشر من يونيو الماضي ، وما الحكومة الائتلافية الجديدة إلا حكومة حرب يسيطر عليها الجنرال أريئيل شارون وزير الإسكان ، ورفاقه ديفيد ليفي وزير الخارجية، وإسحق موداعي وزير المالية، وموشي أرينز وزير الدفاع ، وجميعهم توسعيون يرغبون في ضم الضفة الغربية المحتلة رسمياً وطرد السكان الفلسطينيين متى ما رأوا ذلك ممكناً.

وبلا شك فإن شارون هو رجل النظام القوي وقد سبق له العمل كوزير دفاع في عام ١٩٨٢م، وقاد حينها عملية الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان. ورغم أن منصب شارون الحالي كوزير للإسكان قد يبدو في ظاهر الأمر ليس بالمهم إلا أنه ليس كذلك ، هنا سيقوم شارون بالإشراف على توطين مئات الآلاف من اليهود السوفيات المهاجرين إلى "إسرائيل" ، وقد بدأ ذلك بالفعل منذ العام الماضي ، هذا بالإضافة إلى قيامه بالإشراف على تنسيق وتسليح حركات الاستيطان اليهودية السرية التي تنتشر بين غلاة المستوطنين في الضفة الغربية ، وستوكل لهؤلاء المتطرفين مهمة طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية.

أزمة بترولية جديدة :

بينما نعرف أن مقصد القوى العظمى الرئيسي من هذه الحرب هو تدعيم المحور السوري - الإسرائيلي ، فإننا نجد كذلك أن القوى العظمى ترغب في أزمة بترولية جديدة كتلك التي حصلت في عام ١٩٧٣م ، وذلك لأن ارتفاعاً سريعاً في أسعار النفط سيعطي السوفيات فائدة كبرى خاصة وهم يعتمدون على النفط ضمن بعض المنتجات القليلة الأخرى في توفير احتياجاتهم من العملات الصعبة ، وسيؤدي هذا الارتفاع المفاجئ في أسعار الزيت إلى جعل تطوير وتنمية حقول الزيت البريطانية في بحر الشمال أمراً ذا جدوى اقتصادية مريحة ، إلا أنه سيضع في نفس الوقت ضغوطاً هائلة على ألمانيا واليابان المستوردين للنفط.

هذا وربما كان أحد أهداف هذه الحرب ومراميها هو خلق سابقة في استخدام الأسلحة الكيميائية والنوية ، وهنا يجب ألا نتجاهل المؤسسات العنصرية السوفياتية والبريطانية والأمريكية التي

تنظر بقلق شديد نحو التكاثر السكاني العربي ، وتعتبر هذه الحرب الناشبة حرباً سكانية ذات تأثيرات مأساوية مفعجة خاصة ما يصيب منها السكان المدنيين عقب الحرب. والطريقة التي خطط بها الإنكليز والأمريكان الحرب الأهلية اللبنانية كوسيلة لتفتيت تلك الأمة - تقدم لنا نموذجاً جزئياً أو مصغراً لطريقة تفكيرهم في استخدام الحرب كوسيلة لتخفيض عدد السكان. وفي هذا المجال يمكننا أن نطلق على هذه الحرب المدبرة (حرب الشمال والجنوب) .

بدأت حكومة شامير الجديدة أعمالها باستهلال مفاوضات سرية مع السوريين توسطت فيها السفارة الأمريكية بدمشق ، واستهدفت هذه المفاوضات التي بادرت بها "إسرائيل" التأكيد بأن سورية تعلم أنها لن تكون أحد أهداف الحرب الإسرائيلية العربية القادمة في الأساس، بالإضافة إلى تحديد الأهداف السورية الإسرائيلية المشتركة. هذا وقد كانت الأرضية المشتركة لهذه المفاوضات أن لإسرائيل وسورية نفس الأعداء كما أن لهما نفس الأصدقاء. ويحدد هؤلاء الأصدقاء والأعداء المشتركون الأهداف العسكرية بالإضافة إلى الطريقة التي قد تندلع بها الحرب ، فمثلاً :

منظمة التحرير الفلسطينية :

وهذه لم يعد وجودها مرغوباً فيه سواء من قبل الولايات المتحدة، أو روسيا ، أو "إسرائيل" وسورية ، وأن عملية إسرائيلية محدودة في جنوب لبنان أثناء المرحلة الأولى من الحرب أو قبلها - لكفيلة بإبادة جيش المنظمة (١٢) ألف رجل المتمركز في منطقة شرق صيدا . هذا وربما تقوم وحدات من الدروز - الذين تسيطر عليهم سورية في جنوب لبنان - بمساعدة القوات الإسرائيلية في إبادة جيش المنظمة. وحتى ولو لم تقم هذه الحرب في النهاية فإن نفس هذه (العمليات التنظيمية التي تقوم بها سورية و"إسرائيل" ستؤدي إلى اتفاق سلام إسرائيلي سوري منفرد بشكل رسمي ويتضمن نزع سلاح الجولان التي تحتلها "إسرائيل" حالياً .

العراق :

يعتبر العراق واحداً من الدول الموجودة في المنطقة ولا تتناسب سياساتها مع السياسة الإقليمية الثنائية ، ويقول الكثيرون إنه من المحتمل أن يكون العراق مكاناً لحرب شاملة. هذا ومن جهة أخرى قد تختار "إسرائيل" توجيه ضربة إلى حقول النفط في كركوك شمال العراق تتزامن مع انتفاضة كردية في الإقليم ، وستوفر هذه الضربة ذريعة لزيادة جديدة في أسعار النفط وذلك أحد أهداف دعم بوش لخطة الحرب ، بالإضافة إلى أنه أحد طموحات البريطانيين الذين يسيطرون على متمردي الأكراد. وجدير بالذكر أنه - ولزيادة الضغط على العراق - تقوم المخابرات البريطانية بمحاولات لإساءة العلاقات بين تركيا والعراق .

الأردن :

وصلت علاقات الأردن مع أمريكا إلى أدنى مستوى لها ، وقد تذرع بوش في موقفه الخشن ضد الملك حسين بعلاقات الأخير الوثيقة مع صدام إلا أن السبب الحقيقي هو حل (المسألة الفلسطينية) نهائياً وإلى الأبد. من الممكن دوماً إيجاد ذريعة للحرب ، وفي حالتنا هذه يمكن لإسرائيل بالتعاون مع سورية - صنع أحداث إرهابية فظيعة ضد السكان الإسرائيليين مما يبرر الحرب كرد فعل. وقد بُرر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢م بذريعة مناسبة فقد وقعت محاولة لاغتيال دبلوماسي إسرائيلي في لندن وقامت بتنفيذها منظمة أبو نضال الإرهابية ، وإنه لأمر بالغ السهولة أن تقوم "إسرائيل" بتنفيذ عمل إرهابي دموي كهذا ضد شعبها .

وعند إلقاء نظرة عابرة على الصحافة الأمريكية والبريطانية نجد أن الأساس الدعائي للحرب قد تم بناؤه ، وقد قامت وسائط الإعلام الغربية بالعزف على تهديدات صدام حسين لإسرائيل بينما قامت في نفس الوقت بإخفاء التهديدات الإسرائيلية لمختلف الدول العربية، وقد بدأ هذا السد الإعلامي منذ مارس الماضي بعد تنفيذ حكم الإعدام بالجاسوس الإسرائيلي البريطاني فارزاد بازوفت من قبل العراق .

الصفقة الإسرائيلية السوفياتية السرية :

في الحروب وأثناء الاستعداد لها هناك دائماً أدوار داخل أدوار ، ولعل أبرز مثال على تلك الظاهرة في التطورات الجارية هو المفاوضات السرية الجارية الآن بين "إسرائيل" والسوفيات. وتأخذ هذه المفاوضات السرية شكلاً أكثر تحديداً من المفاوضات الجارية بين "إسرائيل" والولايات المتحدة. وتدور هذه المفاوضات حول المواضيع التالية :

- (١) التدفق المتواصل لليهود السوفيات على "إسرائيل" .
- (٢) التعاون الاستخباراتي بين "إسرائيل" والسوفيات في شرق أوروبا وأمريكا الجنوبية.
- (٣) تقليل أو إنهاء الارتباطات الإسرائيلية السرية بالخاصة الجنوبية لحلف الناتو . وقد وافق السوفيات الآن على جعل الإسرائيليين القوة العسكرية والاستخباراتية المهيمنة في المنطقة ، واشترطوا لموافقتهم على الدور العسكري الإسرائيلي لإنهاء ارتباط "إسرائيل" بحلف الناتو . أما موافقة موسكو على جعل "إسرائيل" القوة الاستخباراتية المهيمنة في المنطقة فيرجع إلى أن الروس سيكسبون كثيراً من المخابرات الإسرائيلية في شرق أوروبا وأمريكا الجنوبية على وجه الخصوص. ومن الشخصيات المهمة التي ستلعب دوراً رئيسياً في هذا التنسيق الاستخباراتي ماركوس وولف الرئيس السابق للعمليات الخارجية في الاستخبارات الألمانية الشرقية ، وسوف يتم تنسيق عمليات مشتركة خارج فنلندا والمجر بالاعتماد على ترتيبات يقوم بها تاجر الخمر سي جرام ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي إدجار برونغمان.

خبر وتعليق

نشرت جريدة الحياة - في عددها الصادر بتاريخ ١١/٩/١٩٩٠م - الخبر التالي:
"شهدت مدينة الإسكندرية هذا الأسبوع ولادة صرح علمي كبير، إنه الجامعة الفرانكوفونية الإفريقية الدولية للناطقين باللغة الفرنسية ، وقد شارك في افتتاحها رؤساء مصر وفرنسا والسنغال وزائير ، وأطلق على الجامعة اسم الرئيس السنغالي السابق (ليوبولد سنغور) وهذه الجامعة تستقبل الدارسين من مختلف أنحاء العالم ليتم إعدادهم قادة للمستقبل يتولون مسؤولية إدارة المشاريع والشؤون الإفريقية خلال السنوات المقبلة" .

تعليق :

هكذا تخطط فرنسا ومن تربي على أيديها مثل ليوبولد سنغور - يخططون للمستقبل البعيد، تكوين القيادات التي تتولى إدارة المشاريع الإفريقية وباللغة الفرنسية، وقد تبرعت فرنسا للجامعة بالأجهزة والمعدات العلمية والخبراء المتخصصين.
فهل يفلاح أغنياؤنا-يوماً من الدهر - بإقامة صرح علمي يخرج قيادات دعوية وإدارية؟، هذه الأمنية التي تمنها يوماً الشيخ رشيد رضا ولم تتحقق حتى الآن . وإلى الله المشتكى .

ركن الأسرة حليب الأم.. مزايا لا تُعدُّ

د. محمد هليل

عندما نركز جُل اهتمامنا على حليب الأم ، وعندما نستحث الأمهات على إرضاع أطفالهن حليبهن فإننا ندعوهم إلى الفطرة ؛ فهذا الحليب الذي أجراه الله في صدر المرأة ما خلقه الله عبثاً - تعالى الله - ولكن كما يقول - جل شأنه - ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) [القمر: ٤٩] ، ويقول كذلك : ((فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)) [المرسلات: ٢٣] .

إن الصيحات التي بدأت تتعالى في الغرب تزداد يوماً بعد يوم تهييب بالأمهات أن يُعدن إلى الرضاعة الطبيعية وأهمية حليب الأم بعد دراسات علمية كثيرة أكدت هذه الميزات، فعلياً أن نعتبر بهم ومنهم وألاً نبدأ من حيث بدأوا ، بل من حيث انتهوا .

قبل أن نعرض على مزايا حليب الأم لا بد أن ننوه أن جميع أنواع الحليب المتوفرة في السوق - إلا ما ندر - هي حليب حيواني المصدر ، يؤخذ عادة من الأبقار وتُجرى عليه بعض التعديلات التي يحاول بها العلماء جاهدين مضاهاة حليب الأم .

ومع هذا تظل هناك فروق قائمة بين الحليب المعدل (الحليب الصناعي) وحليب الأم . يطلق على الحليب المعدل اسم الحليب "المؤنسن" (Humanized) وهي تعني الحليب الذي يشابه حليب الإنسان .

إن مزايا حليب الأم كثيرة نوجز بعضها في النقاط التالية :

١- مزايا في التركيب (النوعية) :

ليس همناً أن نجهد ذهن القارئ بتفاصيل دقيقة عن الفرق بين حليب الأم والحليب المعدل ولكن الأمثلة التالية توضح الهدف من قصدنا :

إن حليب الأم يختلف عن الحليب المعدل، حتى بعد إجراء التعديلات كافة عليه؛ فكمية البروتينات والأملاح في الحليب المعدل لا تزال أعلى بكثير منها في حليب الأم وهذه الزيادة ليست هي الزيادة المحمودة ، فارتفاع كمية الأملاح يزيد من الجهد الواقع على كلى الرضيع والوليد لطرح هذه الأملاح خارج الجسم .

إن بعض الدراسات الطبية بدأت تحاول ربط ارتفاع ضغط الدم المجهول السبب - عند بعض الكبار - بزيادة كمية الأملاح المتناولة في الصغر، إلا أن هذا الربط ليس قطعي الثبوت لحد الآن .

مثال آخر : إن البروتينات الموجودة في الحليب المعدل هي أكبر كمية ، وتختلف نوعية عن تلك التي في حليب الأم . فهي أعرس هضماً لما تكوّنه من خثارة كبيرة الحجم نسبياً في معدة الطفل الرضيع بعد تناوله الحليب المعدل ، وهذا الحليب المتخثر أعرس هضماً وبالتالي فإن الطفل الرضيع "يُرَجع" جزءاً كبيراً من الحليب المتناول، هذا كثيراً ما تشكو منه الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن حليباً معدلاً .

أضف إلى ما سبق أن تناسب بعض الأملاح في حليب الأم - كالكلس والفسفور - هو تناسب مثالي ، فعلى الرغم من أن كميتي الكلس والفسفور أقل في حليب الأم عنهما في الحليب المعدل ،

إلا أن نسبة الأول إلى الثاني هي نسبة مثلى تجعل امتصاص كل منهما عالياً جداً ، فلا يعيق أحدهما امتصاص الآخر كما هو الحال في الحليب المعدل لاختلال النسبة بينهما .
أما المثال الثالث : فإن حليب الأم يحتوي على مواد تساعد على امتصاص بعض المعادن الموجودة في الحليب - كالحديد مثلاً - بشكل كبير على الرغم من قلة كميته فيه ، إذا ما قورن بالحليب المعدل الذي يحوي كمية أكبر ولكن الامتصاص أقل بكثير .

٢- النظافة والتعقيم :

حليب الأم السليمة يخلو من أي جرثومة ، وذلك أنه يتدفق من جسم الأم إلى فم الطفل فلا مجال لتلوثه. بعكس الحليب الذي يحضّر في عدة أوانٍ وبمر بعدة خطوات من غلي الماء ، وتبريده ، ومزج الحليب بالماء... الخ وكل خطوة من هذه الخطوات قد تكون مصدراً من مصادر تلوث الحليب ؛ لذا فإن معدل إصابة الأطفال الذين يتناولون مثل هذا الحليب - الذي يحتاج إلى عدة خطوات في التحضير والإعداد - عالٍ نسبياً ، كما أن مجال الخطأ في كمية الحليب المضافة إلى الماء من زيادة أو نقص أمر وارد الحدوث عند تحضير الوجبة مما يضر بالرضيع في كلتا الحالتين.
مهم جداً أن نتذكر أن حليب الأم يحوي مواد تمنع بشكل غير مباشر الإصابة بالالتهاب المعوي الحاد؛ لذا تندر إصابة الأطفال الذين يرضعون حليب أمهاتهم أن يصابوا بمثل هذه النزلات المعوية.

٣- مقاومة الأمراض :

يحتوي حليب الأم المتدفق في الأيام الأولى بعد الولادة - حليب اللبأ - على كميات كبيرة من الأجسام المضادة والخلايا البيضاء والأنزيمات والخمائر وبعض البروتينات التي تقي الطفل كثيراً من الأمراض ، وهذه الميزة مقتصرة على حليب الأم فقط.

٤- اليسر وسهولة التحضير :

حليب الأم يسهل الحصول عليه ، ولا يحتاج من الأم جهداً في التحضير - سواء في الليل أو النهار ، داخل أو خارج البيت - يقارن هذا بالوقت والجهد اللازم لتحضير وجبة حليب مع ما يلزم من "معدّات" التحضير، خصوصاً خارج البيت، أو تحضير وجبة حليب لطفل جائع بعد منتصف الليل!

إن حليب الأم يتدفق من جسم الأم إلى فم الطفل بدرجة حرارة مناسبة فلا يحتاج إلى تسخين.

٥- التكلفة الاقتصادية :

إن التكلفة الاقتصادية الشهرية لعائلة ترضع طفلها حليباً حيوانياً معدلاً لا تقارن بما تكلفه الرضاعة الطبيعية التي لا تكلف شيئاً إضافياً البتة.

٦- حليب الأم معقم ومعقم :

حليب الأم يحتوي على مواد تعقم أمعاء الرضيع والوليد من الجراثيم الضارة كما أن حليب الأم يحمي الرضيع من الإمساك الذي ينتشر بين الأطفال الذين يتناولون حليباً معدلاً.

٧- حليب الأم يساعد الرضيع على الشبع بطريقة مضبوطة :

إذ تزداد كمية الدهون في الجزء الأخير من حليب الأم المتدفق أثناء وجبة الرضاعة ، وهذه الدهون التي تختلف نوعاً وكماً عنها في الحليب المعدل - تمنح الرضيع الشعور بالشبع .

٨- الراحة النفسية والإشباع العاطفي :

إن الرضاعة الطبيعية تعطي الطفل شعوراً بالأمان أثناء حمل أمه له، وإرضاعها إياه، وهذا الترابط العاطفي يزداد بين الأم والطفل يوماً بعد يوم وهو مهم جداً في تكوين الطفل من الناحية العاطفية والسلوكية.

٩- التحسس :

الأطفال الذين يتناولون حليباً معدلاً - حيواني المصدر - معرضون للإصابة بأمراض مقتصرة عليهم فقط مثل عدم احتمال حليب البقر أو الإصابة بالتحسس لحليب البقر . كما أن أمراضاً أخرى - كالأكزيما ومغص الرضع - أكثر شيوعاً عند مثل هؤلاء الأطفال.

١٠- حليب الأم أكثر أماناً وسلامة من الحليب المعدل :

وذلك لتدني نسبة الأمراض التي قد تصيب الرضيع في الحالة الأولى عنها في الحالة الثانية.

والأمراض التي قد تشيع بين الأطفال الذين يرضعون حليباً معدلاً هي :

١- الالتهابات المعوية الحادة والمتكررة.

٢- أمراض سوء التغذية.

٣- توقف النمو والهزال.

٤- لين العظام (الكساح).

٥- بعض أنواع الجفاف (Hyperosmolar Dehydration)

٦- أمراض نقص الكلس مثل : (Neonatal Tetatny)

٧- سوء الامتصاص (Malabsorption)

هذه مزايا الحليب الطبيعي ومردوده على الطفل الرضيع. أما الرضاعة الطبيعية - بالإضافة لهذا - فإنها تعود بالنفع على الأم وذلك :

١- يمنح الإرضاع الطبيعي الأم راحة نفسية وطمأنينة تغمرانها، ويسبغ عليها ثقة بنفسها تملأ عليها إحساسها باكتمال أنوثتها وأومتها.

٢- أن الإرضاع كفيلاً - عند معظم النساء - بالعمل كإحدى وسائل منع الحمل طيلة فترة الرضاعة ، وهذا يقي الأم من الإجهاد الناجم عن تكرار الحمل في فترة قصيرة. وهو أيضاً يعين الأسرة على

تنظيم الإنجاب ، كما أنه يعطي الطفل فرصة كافية من التغذية الجيدة من حليب الأم ، والغذاء العادي ، مما يقيه أمراض سوء التغذية. ومهم جداً أن نعلم أن المصادر الطبية تنصح بالرضاعة لمدة سنتين

!!

٣- لقد أظهرت بعض الدراسات الطبية أن معدل إصابة النساء بسرطان الثدي أعلى عند النساء اللواتي لم يرضعن أطفالهن إذا ما قورنت بالمرضعات وهذه النسبة تقل كلما ازدادت معدلات الإرضاع.

٤- أن الإرضاع في الأيام الأولى - التي تلي المخاض - يساعد الأم على وقف نزيف دم الولادة، وذلك أن الرضاعة تحث الغدة النخامية على إفراز مواد تزيد من انقباض عضلات الرحم مما يمنع النزف .

إننا لم نقصد بذكر هذه المميزات أن نحصرها بل على سبيل التذكير ، وإن كنا قد ألقينا الضوء على بعض التفاصيل التي اقتضاها المقام لإعطاء فكرة أكثر وضوحاً .

* يتبع *

امراة وموقف أم حبيبة.. رضي الله عنها

مؤمنة الشلبي

مؤمنة قانتة، مهاجرة صابرة، عرف الإيمان طريقه إلى قلبها فعاشت له وتحملت في سبيله العذاب والتنكيل .. هي أم المؤمنين رمة بنت أبي سفيان صخر بن حرب . جمعت - رضي الله عنها - إلى رفعة النسب والحسب ، الغنى الوافر ، والعقل الراجح ، تزوجها عبيد الله بن جحش ؛ فأسلمت معه وهاجرت إلى الحبشة واعتصمت بدينها حين ارتد ، فقضت أيامها في ديار الهجرة بين عذابين : عذاب الغربة ، وعذاب الترميل .. ولكنها - وبإيمانها الذي سكن جوارحها فأضاءها - استطاعت أن تصمد في وجه المحنة بكل صبر وعزيمة .. إلى أن خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النجاشي "ملك الحبشة" الذي أكمل هذا الزواج المبارك بين سيد البشر وبين المرأة المؤمنة الصابرة ، التي عوضها الله بصبرها عن زوجها الهالك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقامت في بيته زوجة مخلصة ، تقدر مسؤوليتها ، وتحرص على إسعاد زوجها الكريم وطاعته .

ولأم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - مواقف كثيرة مشرقة في حياتها تعتبر أمثلة ونماذج حية لكل الدعاة إلى الله، نختار من بينها ذلك الموقف الجريء العظيم، الذي تتجلى فيه مظاهر الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والبراء من الطواغيت ، ومن كل مشرك لا يؤمن بالله ، وإن كان أقرب قريب .

الموقف :

ذكر ابن سعد - في كتابه "الطبقات" - أنه لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يريد غزو مكة ، فكلّمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - طوته دونه فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت امرؤ نجس ومشرك ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله . فقال : "يا بنية ، لقد أصابك بعدي شر " ! ، ثم خرج .

تحليل الموقف :

وهكذا قدر لأم حبيبة - رضي الله عنها - أن تواجه والدها بعد فراق دام سنوات منذ أن أسلمت وقرّت بدينها إلى الحبشة ، وأذهلتها المفاجأة... حتى أنها لم تدري ما تقول ... بل كيف تستقبل والدها سيد قريش وزعيمها المطاع ... ولعل أبا سفيان قدر الموقف والتمس لابنته العذر ، إذ لم تستقبله ، ولم تدع للجلوس ، فتقدم بنفسه ليجلس على البساط المفروش في ركن الحجره... وفجأة تعود المؤمنة إلى هدونها لتتصرف أمام هذا الحدث بكل رباطة جأش وعقيدة راسخة، لا مجاملة فيها ولا محاباة، لتطوي البساط المتواضع، قبل أن تدوس عليه أقدام الشرك والطغيان المتمثلة في أبيها آنذاك، ووقف أبو سفيان حائراً إزاء ما فعلته ابنته، فسألها: هل كان طيبك للفراش لأنك لا ترغبين أن تجلس عليه لسبب ما؟! أم أنك طويته لأنك ترين أنه فراش لا يليق بمكانة أبيك؟؟

وأجابت أم المؤمنين بثبات ، وثقة ، واستعلاء إيمان ، غير جازعة من سلطان سيد قريش وجبروته ، قائلة : بل هو فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مشرك ونجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله.

ولم يكن من أبي سفيان - وهو يسمع هذه الكلمات القاسية التي لم يكن يتصور على الإطلاق أن تتفوه بها ابنته - إلا أن كبح جماح غضبه فقد تذكر المهمة التي جاء من أجلها ، وقال لها - وهو يتميز من الغيظ - : "لقد أصابك يا بنية بعدي شر" ، ثم خرج غاضباً ؛ لبحث عن شفيح آخر ليتابع مهمته... ولكن أنى للكفر أن يجد له شفيحاً بين هؤلاء المؤمنين الذين تغلغل حب الله ورسوله في نفوسهم... فلم تعد تخدعهم المظاهر الجوفاء ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية.

وكم نحن بحاجة ماسة - ونحن في غمرات الفتن العظيمة والأحداث السريعة المتلاحقة - لترسيخ عقيدة

الولاء والبراء في النفوس ؛ حتى لا يتكالب أعداء هذا الدين عليه من كل حذب وصوب ، طامعين في إطفاء نور الله بكل الوسائل المتاحة لهم... هدفهم الأول والأخير تشويه صورة الولاء والبراء ، وفسخ ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين وزعزعة برائه وعداوته للكفار ، عن طريق نشر الدعوات الهدامة بأسماء براقية من قومية ، ووطنية ، و عالمية ...

وأفح الاستعمار في تكوين جيل يرفض العمل تحت لواء الإسلام ويستحي من الانتساب إليه وأصبح عوناً لأعداء هذا الدين وقدم ولاءه وتبعيته لهؤلاء.

وهنا نتساءل.. أين فتيات عصرنا - المبهورات بفتنة الغرب المتمردات على حياة الزوجية - من أم حبيبة التي لم تعرف صلة إلا صلة الإسلام ، ولم تعرف ولاءً إلا الله ورسوله ، ولم تعلم براءً إلا من الكفر والشرك !!؟

أين فتياتنا ونساؤنا اللاتي انخدعن بالحياة الدنيا وزينتها وشهواتها ؛ فغمر قلوبهن واران عليها حب المال والشهوات.. من تلك المؤمنة التي غمر قلبها حب الله وحب رسوله فلم يبقَ فيه إلا تلك المحبة الطاهرة !!؟

أين أنتن يا مَنْ ترتعد فرائصكن خوفاً وذعراً من البوح بكلمة الحق ... من تلك التي ضنت بفراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبيها ، وقالت له تلك الكلمة القاسية وهو الذي لم تسمع منه إلا طيب الكلام وأحسنه !!؟

شتان ما بين حال فتياتنا الضائعات المشغولات بالتافه من الأمور، وحال تلك الصفوة المباركة من أمهات

المؤمنين، والصحابيات الجليلات، والمؤمنات اللاتي أشرقت قلوبهن بنور الله؛ فلم يتلكن في طاعة الله ورسوله ، والبراء من كل معصية لهما ...

أما أن الأوان لنسائنا وفتياتنا أن يتحلين بتلك الصفات ويمددن أيديهن للمساهمة في بناء صرح الإيمان ؟ ، ألم يأن لقلوبهن أن تصبح عامرة بحب الله وحب رسوله ؟ .

إن هذا لن يكون إلا بالبراءة من كل منهج وتشريع غير منهج الإسلام ، والبراءة من كل فكر يناقض هذه العقيدة التي كانت سبب ظهور الرعيل الأول من النساء المؤمنات.

نسخة من الإنجيل لكل إنسان !

حسن الليدي

كتبت مجلة "وورلد مونيتور" الشهرية - الصادرة عن مؤسسة "كريستيان ساينس مونيتور" في عددها لشهر ديسمبر عام ١٩٩٠م وتحت عنوان "عقود الإنجيل" - تقول :

"إن أعجب زيادة في توزيع الإنجيل حصلت في فترة قريبة هي تلك التي تمت في الاتحاد السوفياتي، ففي خلال عامين - وبالتحديد من يوم أن كتب "هارفي كوكس" مقالته في عدد مجلتنا الأول في يناير عام ١٩٨٨م والتي كانت حول ندوة الأنجيل في روسيا - تم توزيع ملايين النسخ مجاناً على الناس هناك. وإذا ما أخذنا في الاعتبار التوزيعات التي قامت بها مؤسسة (جمعيات الإنجيل المتحدة) في الفترة التي تلتها ، نجد أنه في مقابل ٢٢٠٠٠ نسخة وزعتها المؤسسة عام ١٩٨٠م تم توزيع ٢٢٧,٧٧٥ في عام ١٩٨٩م و ٥٩٦,٢٠٠ نسخة حتى منتصف هذا العام (١٩٩٠م) . وهذه المؤسسة هي عبارة عن ائتلاف بين (١١٠) جمعية في إطار لغاية واحدة هي: "إيصال الكتاب المقدس لكل إنسان على الأرض" .

كما نشرت المجلة أيضاً خريطة بيانية لأرقام التوزيعات في عامي ١٩٧٠م و ١٩٨٩م وهي عبارة عن إحصاءات لجهود المؤسسة السالفة الذكر للتوزيعات المجانية دون اعتبار التوزيع التجاري (حيث إن ذلك خارج عن نطاق عمل المؤسسة). ومجموع هذه التوزيعات يشير إلى أن العدد قد تضاعف ثلاث مرات على الأقل خلال العقدين الماضيين (١٩٧٠-١٩٩٠م) .

عام ١٩٨٩م) وذلك في مختلف بلاد العالم ما عدا الصين؛ حيث تمنع الحكومة عمل المبشرين ، ومع ذلك فقد تجاوز عدد الأنجيل المباعة تجارياً فيها أربعة ملايين نسخة منذ عام ١٩٨٠م. وتوضح الخريطة الإحصائية كذلك تزايد التوزيعات في كثير من البلاد العربية والإسلامية كمصر والسودان والأردن والخليج العربي وبنغلاديش ، وتشير الأرقام المدرجة مثلاً إلى أن حجم التوزيع قد تضاعف أربع مرات في كل من باكستان ومصر خلال العشرين عاماً الماضية.

وتضيف المجلة "... وعدد نسخ الإنجيل التي تمت طباعتها من يوم أن اكتشف الإنسان الطباعة الآلية يزيد على (٣) مليارات نسخة" ! .

ولا يحتاج خبر مثل هذا إلى كثير إيضاح أو إطالة تعليق !

فالذي لا ريب فيه أن الباطل يقظان وأهله جادون فيما يريدون . والكفر تعمل أجهزته في بلاد عربية وغير عربية جهاراً نهاراً على التشكيك في الإسلام وطمس حقائقه والتشويش على عقول من استطاعوا من أتباعه. ولسنا نقصد التهويل من شأن الباطل وما يفعلون ، لكن القرآن يعلمنا أن سنة الله هي أنه لا قيام للباطل إلا في غياب الحق وعند غفلة أهله ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)) [الإسراء: ٨١] ، وهذا بيت القصيد . فبرغم ما نرى من بشائر الصحة الأكيدة ومن إنجازات مباركة في كثير من المجالات إلا أن مضاعفة الجهود وتطويرها كما وكيفاً أصبحت أمراً لا يمكن القبول بأي تهاون فيه، ونحن نعيش في عالم أصبح يرى في الصحة الإسلامية خطراً يعيقه ويهدد مصالحه. ومطلوب من الدعاة إلى الله - الذين يناط بهم أمر رفع راية الإسلام والتعريف به ونشره - أن يأخذوا أنفسهم بشيء من الجد في هذا السبيل ، وأن يكون لهم في جهود أهل الباطل ومثابرتهم درس وعبرة ، فإنه من المهانة أن لا نكون أقدر على الحركة بحقنا ونصرتنا والإقناع به من دعاة الباطل الذين يركبون فيه الصعب والذلول .

بأقلام القراء حياة القلوب

لابد للداعية في هذه الحياة المليئة بالفتن والمصائب أن يخلو بنفسه وأن يلتفت إليها حتى لا يخسرها - بعد ذلك - وتكون عبئاً ثقيلاً عليه . فإذا تدارك الداعية نفسه فلم يهملها وعالجها في وقتها يكون قلبه حياً ويصبح أمره سهلاً . وعجيب أمر القلب !! فهو لا يثبت على حال أبداً وما سمي القلب قلباً إلا لكثرة تقلبه... فكل شيء يؤثر فيه !! وكل أمر يغير منه بقدر... إذاً فلا بد من تعاهده والمحافظة على استقامته وإصلاح هفواته ولهواته...

وأول سبب لحياة القلب هو الاستجابة لله ولرسوله... ففيها حياة للقلب.. وحياة للنفس وحياة للمجتمع كله.. ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) [الأنفال: ٢٤] .

يقول سيد قطب - رحمه الله - في هذه الآية : إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة ، وبكل معاني الحياة.. إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول ، وتطلقها من أوهاج الجهل والخرافة ، ومن ضغط الوهم والأسطورة ، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء.. ويدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلن (تحرر) الإنسان وتكرمه بصدورها عن الله وحده ، ووقوف البشر كلهم صفاً متساويين في مواجهتها ، لا يتحكم فرد في شعب، ولكنهم ينطلقون كلهم أحراراً متساويين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد .

ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله ، لتقرير ألوهية الله - سبحانه - في الأرض وفي حياة الناس وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله - سبحانه وتعالى - وحاكميته وسلطانه ؛ حتى يفينوا إلى حاكمية الله وحده ، وعندئذ يكون الدين كله لله. حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة.

ذلك مجمل ما يدعوهم إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو دعوة إلى الحياة بكل معاني الحياة.. بكل صورها وأشكالها ، وفي كل مجالاتها ودلالاتها. والتعبير القرآني يجمل هذا كله في كلمات قليلة موحية : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) . استجيبوا له طائعين مختارين وإن كان الله - سبحانه - قادراً على قهركم على الهدى لو أراد : ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)) .

ويا لها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة..!! ((يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ))؛ فيفصل بينه وبين قلبه ، ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه، ويصرفه كيف شاء، ويقبله كما يريد . وصاحبه لا يملك منه شيئاً وهو قلبه الذي بين جنبيه!

إنها صورة رهيبة حقاً يتمثلها القلب في النص القرآني ، ولكن التعبير البشري يعجز عن تصوير إيقاعها في هذا القلب ، ووصف هذا الإيقاع في العصب والحس ! إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة ، والحذر الدائم ، والاحتياط الدائم .

اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفقاته ، والحذر من كل هاجسة فيه وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقاً ، والاحتياط الدائم للمزلق والهواتف والهواجس.. والتعلق الدائم بالله - سبحانه - مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته.. ولقد كان الرسول - صلى الله

عليه وسلم - وهو رسول الله المعصوم يكثر من دعاء ربه: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" .. فكيف بالناس وهم غير مرسلين ولا معصومين؟!
ومما يعين على حياة القلب: دوام ذكر الله - عز وجل - فنعم الزاد الذي كان يتغذى به الصالحون وينعم به العارفون كما قال ابن تيمية - رحمه الله - : الذكر للقلب مثل الماء للسّمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!.

هذه غدوتي !

يقول ابن القيم : وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ، ثم جلس يذكر الله - تعالى - إلى قرب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليّ وقال : "هذه غدوتي ، ولو لم أتغذ هذا الغداء لسقطت قوتي" ، أو كلاماً قريباً من هذا . وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر" ..

فمتى كان القلب حياً.. كانت صلته بالله - تعالى - أعظم وأقوى... والقلب الموصول بالله دائماً هو الذي لا يشغله عن ذكره شاغل ولا يلهيه عنه لاهٍ.. ففي كل أمر يذكر الله - تعالى - .. في نومه وانتباهه.. وأكله وشربه.. ودخوله وخروجه.. وجلوسه وقعوده.. وجميع أمور حياته.. ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ)) [آل عمران: ١٩١].
فهذه هي الحياة الحقيقية.. حياة القلوب.. لا حياة الجسد وحده.. فكم من حي ميت وكم من ميت حي..

مَنْ هُوَ الْقُدْوَةُ؟!

"إذا أراد العبد أن يقتدي برجل فليُنظر : هل هو من أهل الذكر؟ أو هو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟! فإن كان الحاكم عليه الهوى وهو من أهل الغفلة ، وأمره فُرُط ، لم يُعْتَد به ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك ؛ قال - عز وجل - ((وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) [الكهف: ٢٨] .

عبد السلام بن محمد الحمدان

مقتطفات

التقوى : قال ثابت البناني : قال أبو عبيدة : "يا أيها الناس إنني امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود يفضّلني بتقوى ، إلا وددت أني في مسلاخه" . (١)
(سير أعلام النبلاء ١/١٨)

الإنفاق : عن سعدى بنت عوف المريّة قالت : "دخلت على طلحة يوماً وهو خائر (٢) ، فقلت: ما لك؟! لعلك رابك من أهلك شيء؟، قال: لا والله، ونعم حليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني ، فقلت : ما يغمك ؟ ، عليك بقومك ، قال : يا غلام ! ادع لي قومي فقسّمه فيهم ، فسألت الخازن : كم أعطى ؟ قال : أربع مئة ألف .

(سير أعلام النبلاء ، ١/٣٢)

١- المسلاخ : الجلد.

٢- ثقل النفس غير نشيط.

تضييع القرآن والعمل به

عن جيلان بن أبي الجلد قال : "لا يذهب الليل والنهار حتى يَخْلُق هذا القرآن في قلوب رجال كمثل الثوب البالي الذي يتهافت ، لا يجدون حلاوة له ولا لذة . إن ترك أحدهم بعض ما أمر به تال : إن الله غفور رحيم ! وإن ركب بعض ما نهى عنه قال : إنه سيغفر لي إني لا أشرك ! كل أمرهم إلى الطمع ، وليس معهم من الخوف شيء ، خيرهم في أنفسهم المداهن" .
(الكنى والأسماء للدولابي ، ٤٠/١)

المجاهدة: قال ثابت بن أسلم : "كابدت الصلاة عشرين سنة وتتعمت بها عشرين سنة".
(النبلاء ، ٢٢٤/٥)

الإخلاص : عن سعد بن إبراهيم قال : مروا على رجل يوم القادسية ، وقد قُطعت يده ورجلاه ، وهو يفحص ، وهو يقول ((مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) [النساء: ٦٩] ؛ قال : فقال : مَنْ أنت يا عبد الله ؟ قال : "أنا امرؤ من الأنصار"

(أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٥٩٧/١٥٥٨٩)

هلاك الناس بذهاب العلماء : قال هلال بن خباب أبو العلاء : سألت سعيد بن جبير ، قلت : يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس ؟ قال : "إذا هلك علماؤهم" .
(أخرجه ابن أبي شيبة ١٩٠٥٣ ، وأبو نعيم ٢٧٦/٤)

إعداد : عبد العزيز بن محمد

ما زال أصحاب الطاقات المبدعة ، وأصحاب الأقلام الصادقة يكتبون لأنفسهم ، حتى نرى للكتابة أناس ينفثون سموهم ، ويسمونه أدباً ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)) [البقرة: ١١] ، فمتى يرتب المخلصون أوراقهم المتناثرة ؟ ، ومتى نرى كلماتهم الصادقة وتوجيهاتهم المنيرة؟ ، ولماذا لا يدفعون زكاة علمهم وأدبهم؟ ؛ فإن آلاف الكلمات التي كتبها المرتزقة قد تصدها كلمة صادقة من قلب غيور.

صالح حسن

غيرة لله

في هذه الأيام وجد من يتجرأ على الإسلام وأهله ، فيتكلم عن الحجاب وإبعاد المرأة المسلمة عنه ليحفظ لها مكانتها ، ونقول لهؤلاء رويدكم يا أذعياء التقدم ، لقد تناولتم ، وتعديتم حدودكم ، وأعلنتم الحرب على الله ورسوله والمسلمين.

ومن كان هذا دأبه فإننا سوف نحاربه ، ولن نغفل عنه ، طالما أننا راضينا بالحجاب سترًا وحفظاً للمرأة؛ لأن هذا هو ديننا الذي لن نتخلى عنه مدى الحياة، فأربعوا على أنفسكم ، وكفافكم نعيقاً ؛ فإن نور لا إله إلا الله لم ينطفئ بعد ، ونعدكم أنكم كلما نعقتم فإننا سوف نعلن حرباً عليكم ، فلا تنمادوا في غيكم . ويا أيها الناس اعلموا أن هؤلاء أذعياء ضلال لا تقدم وإلا فإن لكل ساقطة لاقطة.

أم زياد - المدينة المنورة

قد تكون الأحداث التي تعصف بالمنطقة فرصة مواتية لخروج بعض الإفرازات المتوقعة في المستقبل القريب.

والسبب الذي يدفعني لهذا الظن هو أن مشكلة الخليج حدث خارج عن حدود التوقعات المحلية في بدايتها ، وكذلك خارج حدود التوقعات في نهايتها ، لا أشك في أنها ستنتهي طال الزمان أو قصر. لكنها لن تنتهي إلا وقد أفرزت أحداثاً غير متوقعة أيضاً. ربما بقانون "النتيجة تتبع المقدمات" ، وربما لأن هذه الإفرازات فيها بُعد عن الواقع السياسي إلى حد مما يستدعي الغفلة عنها. إن هذه المشكلة لم تنشئ هذه الإفرازات ابتداءً ، لكنها قد تهيئ لها ظرفاً مناسباً للبروز على السطح من خلال الدعوات المعروفة والمتعلقة بالديمقراطية ، والمرأة ، والعلمانية ، وغيرها. وعلى ذلك فإني أوجه دعوة للعلماء والدعاة الإسلاميين ألا يكونوا بعيدين عن تفاصيل الأحداث ، أثناء هذه المشكلة وبعدها ، بل عليهم أن يقتربوا منها أكثر مما عداها وذلك لأمرين : الأول : أن الأحداث قد تفرض بعض النظم الإدارية ، وهذا النظام لا بد له من دراسة وتمحيص وبكل دقة. ولا بد من التروي في استيعاب هذا العمل استيعاباً تاماً وعميقاً . الثاني : أن هذه النظم إذا أثبتت صلاحيتها شرعاً لا بد لمن ينخرط فيها من رؤية شرعية واضحة ، وحكمة سلوكية تبعث على الثقة والانسراح.

الثالث : قد تُستغل هذه الأمور من قبل بعض الانتهازيين والوصوليين ، فيبدؤون بطرح أفكارهم المشوشة ، وهم - كما عهدناهم - لا تعجزهم الحيلة من التذرع بأي فكرة أو موقف ليبرروا تلك الأفكار بما يضيف عليها شيئاً من الشرعية المقبولة. على أية حال يجب ألا يشغلنا هذا الواقع عن دراسة مشكلة الخليج برؤيتنا نحن ، وعقولنا نحن ، بعد تجميع أطرافها ومراجعة أصولها القديمة وإفرازاتها المستقبلية. فلا بد من ربطها بما يشاهد سياسياً وإدارياً وفكرياً ؛ لكي نعلم مدى ارتباط هذه الأفكار بالمشكلة ، ثم لنجيب على هذا السؤال : هل أريد من وراء هذه المشكلة خلق جو مناسب لهذه الأفكار ؟ في الحقيقة سنتساءل وسنجد حلاً ولو ساذجاً مؤقتاً ، ولكن يجب ألا نقول : "هذا واقع اتفاقاً ، وهذا كان صدفة" .

فهد عبد الله المطيري

الصفحة الأخيرة

إنصافاً للصحافة العربية

عبد القادر حامد

القول بأن الصحافة العربية لا تصور واقع العرب أصدق تصوير بعيد عن الدقة ... فمن يقول ذلك خيالي يكاد يطلب المستحيل ؛ إذ يعتقد أن على الصحافة أن تعكس واقع هذه الجموع المكدسة ، بينما هي مجرد جموع خالية من الفاعلية والتأثير.

إن الحقيقة التي لا مرية فيها أن هناك اتحاداً واندماجاً بين هذه الصحافة وبين القلة التي تنطق باسمها، فهي صحافة نُخب وليست صحافة جماهير، وإن ادعى بعض القائمين عليها غير ذلك ، فهذا ادعاء لا يغير من الحقيقة شيئاً ؛ ولذلك فإن هذه الصحافة صادقة في نقل واقع من تنطق باسمه كل الصدق ، (إذا أردنا بالصدق : انطباق الوصف على الواقع، لا المعنى الشرعي المفهوم من قوله

تعالى: ((وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) [التوبة: ١١٩]. وهي سجل أمين، سواء سكتت أو نطقت، لأن سكوتها عن أشياء هو إفصاح من جهة أخرى ، فإذا وجدنا أنها لاذت بالصمت على أمر نعتقد - نحن الجموع المكدسة - أنه لا يحسن السكوت عليه فكأنها تقول لنا : مهلاً يا قوم، لا تحمطوني ما لا أطيق، لقد أجمني لجام الرغبة والرغبة، فقد نشأت في حجر من غذاني ورعاني؛ فكتابي ربتهم مدارس، ومناهجه وبعثاته، وورقي وحبري من خزائنه ، واشتراكاتي و إعلاناتي - التي تحفظ عليّ حياتي - قائمة على موظفي دواوينه وشركاته ! ؛ فكيف تظنون أنني أقوى على إنكار كل هذا الفضل وجحود كل هذا المعروف ، فأتكلم عن صغائر أصحاب الدواوين وأذكرهم بما يكرهون؟! ، ألا تعلمون أن ذلك غيبة والله نفر من الغيبة أبلغ تنفير؟! هل تُراكم لم تقرأوا ما كُتب عن جزاء المعروف : عرفاناً أو جحوداً في الأدب العربي؟! ، لو نطقت الصحافة العربية لقاتل : نحن نعكس واقعاً حياً على عُجره وبُجره ، وأنتم يا ناس - أيها الجموع المكدسة - أموات غير أحياء لا تدرون أيان تُبعثون !

تمت بعون الله وفضله والحمد لله رب العالمين؛
